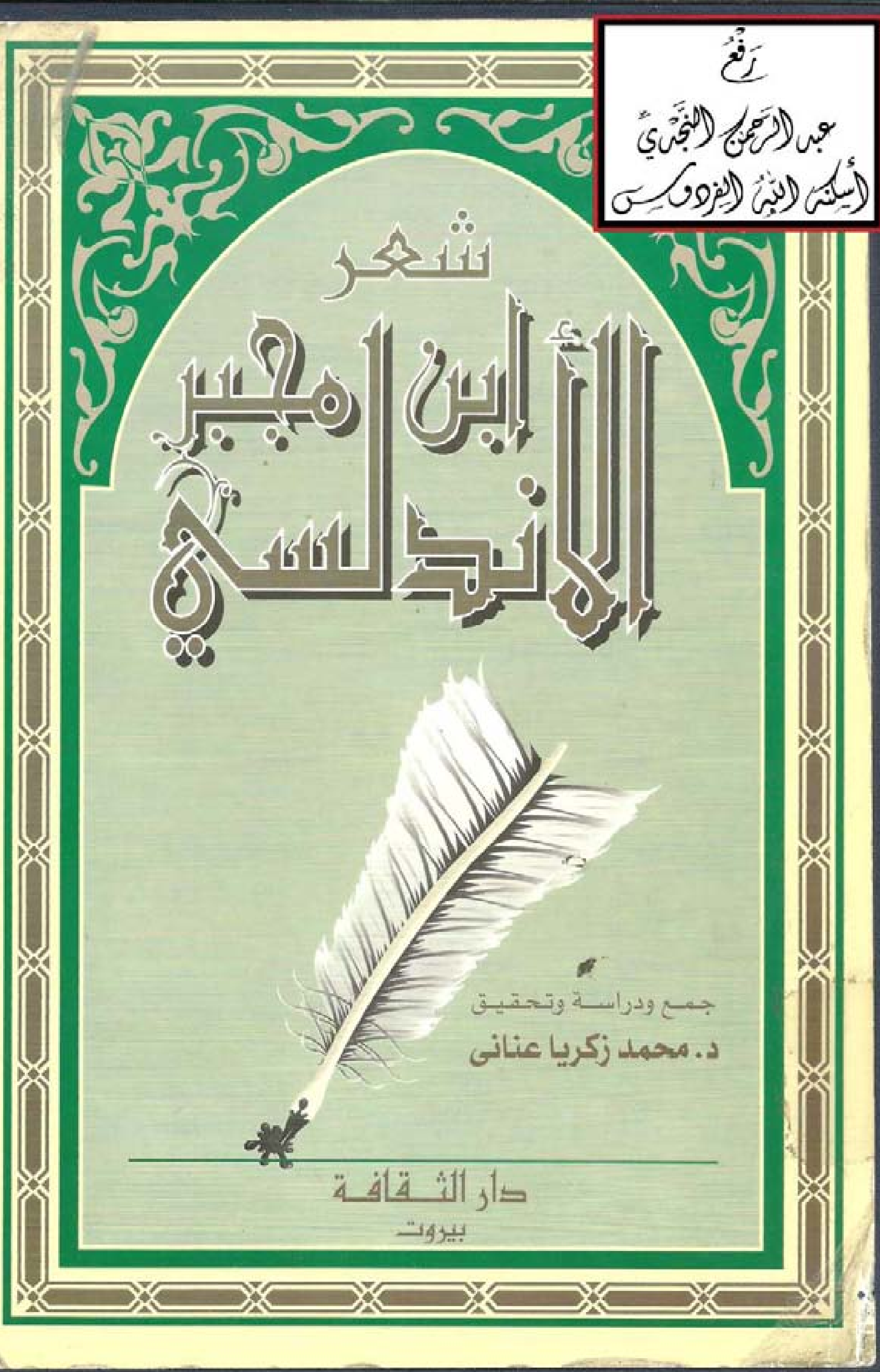

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
شعر
ابن مجبر
الأندلسي
جمع ودراسة وتحقيق
د. محمد زكريا عنانى
دار الثقافة
بيروت

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

الطبعة الأولى

شعر ابن مجبر الأندلسي

جمع ودراسة وتحقيق

دكتور
محمد زكريا عناني
الأستاذ بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية
رئيس قسم اللغة العربية
بجامعة بيروت العربية

دار الثقافة
بيروت - لبنان

إلى

د. محمود محمد الطناحي

الذي عاش روحًا نقيةً طاهرةً نبيلة كالوردة،
وتوارى عنّا بجسمه، لكن ذكراه ستبقى،
وعلى مر الزمان، ملء الوجدان...

محمد زكريا عناني

«يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن الفهرى: كان في وقته شاعر الأندلس، بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع، يعترف له بذلك الأكابر من أهل الأدب، وتشهد له بقوة عارضه وسلامة طبعه قصائده التي سارت أمثالاً، وبعدت - على قربها - منالاً.»

ابن الأبار
في: تكملة الصلة

«بحتري الأندلس: أبو بكر يحيى بن مجبر.»

ابن سعيد
في: رايات المبرزين

دع العين تجني الحب من موقع النظر
وتغرس ورد الحسن في روضة الخفر

يحيى بن مجبر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

من الحقائق المثيرة للأسى أن القسم الأعظم من التراث الأدبي الأندلسي قد تعرض للضياع، بحيث لم يعد يعرف منه اليوم إلاّ ذلك القدر المحدود من الدواوين (مثل دواوين ابن دراج، ابن هانئ، ابن زيدون، ابن الزقاق، ابن خفاجة، الأعمى التطيلي، ابن عربي، الششتري، ابن الأبار، ابن سهل، ابن الأحمر، ابن خاتمة، لسان الدين بن الخطيب...). وإلاّ حفنة ضئيلة من المجامع والمنتخبات... وأما النثر فإنه تعرض للتبدد بأكثر مما حدث للشعر.

ولعل هذا الحكم ينطبق كذلك على الموشحات والأزجال، وبحسبنا أن نعلم أن وشاحًا شهيرًا مثل ابن بقي ألف، كما تقول بعض المصادر، بضعة آلاف من الموشحات، في حين أن كل ما وصل إلينا نحو ثلاثين موشحةً له، كذلك ضاعت مجموعات الزجل باستثناء ما سلم من ديوان ابن قزمان، وفقدت مؤلفات كثيرة لم نعد نعرف منها إلاّ عناوينها فحسب.

والشاعر الذي نعرض له - أبو بكر يحيى بن مجبر - يكاد يكون مجهولاً إلاّ من قلّة قليلة من المتخصصين في الأدب الأندلسي، إذ طوى الزمان اسمه في غمار النسيان، وعاث على ديوانه فتبددت جميع نسخه، ولم نعد نعرف له إلاّ شذرات مبعثرة هنا وهناك، وإلاّ حفنة من المعلومات الضئيلة، وكثير منها معاد منسوخ...

وهذا شأن أديب كان يوصف بأنه شاعر الأندلس والمغرب في عصره - أي في القرن السادس الهجري - وكانت له صلات وثيقة بخلفاء وملوك

ونبهاء ذلك الزمان، فما بالكم بمن هم دونه مكانة؟

وقد سعينا إلى تقديم لوحات موجزة ولكنها وافية، للعصر وللأدب فيه، وللشاعر، وموضوعاته وفنه، كما جمعنا وحققنا كل ما عثرنا عليه من شعر منسوب له، (أما رسائله فلم نجد منها شيئًا)، واختبرنا في سبيل تحقيق هذه الغاية الجم الغفير من المؤلفات الأندلسية والمغربية وكتب الطبقات والتراجم والتاريخ، وكذلك عشرات المجاميع الأدبية، ومعظمها - مع الأسف - غير مفهرس ولا مرتب، وقضينا في سبيل تحقيق هذه الغاية ما قضينا من وقت وتطواف وطول تنقيب، ولم تكن الحصيلة إلاّ عددًا محدودًا من القصائد والمقطعات وقطعة واحدة من الموشحات.

وأيا كان الأمر، فإن محاولتنا هذه ، هي الأولى - فيما نعلم - التي تتطرق لابن مجبر وشعره، ولعل المزيد من البحث والتقصي يكشف في يوم من الأيام عن جديد حول شاعرنا المبدع العبقري.

بيروت ٧ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٠ — محمد زكريا عناني

في غمار الأحداث

ارتبط نتاج أديبنا - يحيى بن مجبر البلنسي الإشبيلي - ارتباطًا وثيقًا بعصره والأحداث السياسية فيه، بكل من الأندلس والمغرب، كما عرف عن كثب عددًا من كبار رجالات القرن السادس الهجري في الأندلس والمغرب، ومن ثم كان من الضروري رسم صورة مجملة لتلك المرحلة الحافلة بالأحداث والتحولات خاصة ما يرتبط منها بالخليفة الموحدي المنصور الذي كان - كما سنرى - واحدًا من أعظم رجالات المغرب والأندلس آنذاك.

والحق أن القرن السادس يُعد في مجموعه عصر الموحدين، على الرغم من أن سلطان المرابطين استمر قويًا خلال الحقبة الأولى من هذا القرن الذي استهل بتولي علي بن يوسف بن تاشفين زمام الأمور، وكان يسيطر آنذاك على الأندلس الإسلامية، وعلى المغرب كله من تونس حتى المحيط الأطلسي، ويمتد حتى نهر النيجر جنوبًا.

إلاّ أن هذه الإمبراطورية المترامية الأطراف، ما لبثت أن تهاوت على نحو غير مألوف، ولعل إمبراطورية المرابطين أو (الملثمين) كانت من أقصر إمبراطوريات الإسلام عمرًا، إذ لم تدم أكثر من نصف قرن، وبدأ التصدع يدب فيها منذ أن ظهر في عاصمتها مراكش سنة ٥١٤هـ (١١٢٠م) هذا الداعية الداهية محمد بن تومرت، والذي بدأ ينادي آنذاك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى عظمت صولته، والتفت حوله القبائل، مما دعاه في العام التالي إلى أن يعلن إمامته وتلقب بـ «المهدي المنتظر»، و«الإمام المعصوم»، وآزره في ذلك حواريوه العشرة، وعلى رأسهم عبد المؤمن بن علي، وتسموا بالموحدين، ودبج أصول دعوته في كتابه الذي عرف باسم

«أعز ما يطلب»، وسرعان ما استولوا على بلاد السوس، وعظم نفوذ ابن تومرت في نفوس قبائل المصامدة البربر، مما مكنه من أن يجند الجيوش الجرارة، تمهيدًا للقضاء المبرم على دولة المرابطين.

حتى إذا ما توفي ابن تومرت - سنة ٥٢٤ على الأرجح - آل الأمر لخليفته عبد المؤمن بن علي، وهو من قبيلة كومية - بطن من زناته - واستمرت المناوشات طويلاً بين المرابطين والموحدين، حتى كانت وفاة علي ابن يوسف بن تاشفين سنة ٥٣٧، بعد حكم دام سبعة وثلاثين عامًا، وتولى ابنه تاشفين من بعده، واقترب أمر سقوط مراكش - العاصمة - مع توالي التصدع المرابطي وازدياد قوة المد الموحدي، إلى أن كان الاستيلاء على المدينة في سنة ٥٤١هـ، وتم قمع كل محاولات العصيان بحد السيف، وظل عبد المؤمن إلى أن توفي (سنة ٥٥٨هـ) مهيب الجانب نافذ الكلمة في سائر المغرب والأندلس - ما خلا بعض النواحي الشرقية - وكثيرًا ما وصف بأنه:

«كان ملكًا عادلاً سائسًا عظيم الهيبة عالي الهمة كثير المحاسن متين الديانة قليل المثل... وكان يهتم بالجهاد والنظر في الملك كأنما خلق له... ومن شعره وقد كثر الثوار عليه:

لا تحفلن بما قالوا وما فعلوا ... إن كنت تسمو إلى العليا من الرتب
وجرد السيف فيما أنت طالبه ... فما ترد صدور الخيل بالكتب[1]»

ولكن ملكه اتسم مع ذلك بطابع دموي رهيب، فلم يكن عبد المؤمن (ومن قبله ابن تومرت) يتوانى عن الفتك بالآلاف المؤلفة في سبيل تحقيق مآربه السياسية، وسجل الدولة الموحدية حافل بالمواقف التي سالت فيها دماء المسلمين أنهارًا...[2] وقد عاصر عبد المؤمن فترة ملك صلاح الدين

---

(1) شذرات الذهب ج٤ ص١٨٣ وللمزيد من التوسع يراجع: وفيات الأعيان (ترجمة رقم ٤٠٨) وتاريخ المن بالإمامة لابن صاحب الصلاة، والمعجب للمراكشي وتاريخ البيذق وابن خلدون - المجلد السادس - والكامل لابن الأثير... الخ.

(2) انظر عن دموية ابن تومرت وعبد المؤمن: محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (القاهرة ١٩٦٤) ج١ ص١٩٢ وص٢٧٧، وفيه أنهم «كانوا يتبعون نحو لمهزومين والعزل من خصومهم خطة التقتيل الشامل وسفك الدماء دون تحفظ، واقرأ أيضًا (ص٣٤٠) ما حدث في لبلة من تنكيل أودى بجميع رجالها، وتم بيع نسائهم وأطفالهم، وتاريخهم حافل بمثل هذه المواقف الدامية.

الأيوبي بالمشرق ولكن الفارق شاسع بين نهج الأيوبيين المسالم ومنزع الموحدين الدموي العنيف.

وكان من البديهي للدولة الموحدية، بعد أن تمكنت من سحق المرابطين في المغرب، أن تتجه إلى استئصالهم في الأندلس، وكان أمرها موزعًا بين هذه الزعامات الإسلامية وبين أطماع ملوك الفرنجة الذين أضرموا حروب الاسترداد، وساعدهم عليها ما اعترى أهل الأندلس من خلل وثورات وأطماع ونزوات أدت إلى سقوط طليطلة مبكرًا (سنة ٤٧٨هـ) على زمن ملوك الطوائف ولولا أن تدارك الله الإسلام آنذاك بانتصار معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ؛ لكان انهيار الأندلس قد وقع بأسرع مما كان... ثم توالى سقوط المدن فاستسلمت تطيلة سنة ٥١١هـ، ثم سرقسطة سنة ٥١٢هـ، وتمكن ألفونسو المحارب من الاستيلاء على العديد من الحصون والمواقع المنيعة مما أدى إلى استسلام مكناسة - سنة ٥٢٧هـ - ثم طرطوشة ولاردة وإفراغه من قواعد الثغر الأندلسي الأعلى، وفي ظل هذه الحالة برزت قوة الموحدين.

وأول جيش موحدي دخل الأندلس نحو سنة ٥٤٠هـ، واستطاع هذا الجيش أن يخضع اشبيلية سنة ٥٤١هـ، وتوالت استجابة العديد من المدن الأخرى لحركة الموحدين، بما في ذلك قرطبة التي اضطر أميرها المرابطي يحيى ابن غانية إلى التخلي عنها للموحدين بعد أن اشتدت عليه مطالب ألفونسو السابع ملك قشتالة، وتمكن الجيش الموحدي من انتزاع مدينة المرية من أيدي الفرنجة بعد أن بقيت في حوزتهم زهاء عشرة أعوام، وانضوت غرناطة آخر الأمر للملك عبد المؤمن الموحدي.

أما ما استعصى عليه فيتمثل أساسًا في مرسية التي كانت خاضعة لأبي عبد الله محمد بن سعد بن مَرْدِنيش الملقب بـ «صاحب شرق الأندلس»[1].

---

[1] تملك ابن مردنيش شرق الأندلس (مرسية وبلنسية) سنة ٥٤٢هـ، وحمل الدعوة لفكرة استقلال الأندلس عن المغرب، ومن ثم تصدى لمحاولات الموحدين الرامية لضم شرق الأندلس لإمبراطوريتهم، وأخذ عليه تحالفه مع القشتاليين، وكان من مؤازريه ابن همشك الذي تغلب على شقورة، واستطاع ابن مردنيش أن يحافظ على استقلاله حتى وفاته سنة ٥٦٧، فخضعت مرسية لسيطرة الموحدين، وسوف نعود للتعريف بابن مردنيش في موضعه.

ولسنا بصدد تناول تاريخ أمراء بني عبد المؤمن، ولكن من الضروري التعريج على اسمين هامين أولهما يوسف بن عبد المؤمن، ثم ابنه يعقوب.

أمّا الأول فكان «فقيهًا حافظًا متقنًا، لأن أباه هذبه وقرن به وباخوته أكمل رجال الحرب والمعارف، فنشؤوا في ظهور الخيل بين أبطال الفرسان، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء، وكان ميله إلى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله إلى الأدب وبقية العلوم»[1]، ومما يُؤْثَر له أنه أعد العدة لجهاد الفرنجة في الأندلس، عندما عبر إليها سنة ٥٦٦هـ بجيوش جرارة أفضت إلى استيلائه على مرسية وما جاورها، وكان ذلك على أثر وفاة ابن مردنيش (سنة ٥٦٧هـ).

وكان آخر ما قام به يوسف بن عبد المؤمن أن تحرك من المغرب إلى الأندلس على رأس جيش جرار ليحرر مدينة شنترين من قبضة البرتغال (ومَلِكُهُم آنذاك ألفونسو هنريكيز الذي تُسميه الروايات العربية ابن الرنق وابن الرنك)، ولكن هذه الحملة باءت بالخسران، وقُتِلَ الخليفة في أعقابها، سنة ٥٨٠هـ.

وهكذا يفضي القول إلى الشخصية التالية، أي إلى أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، الملقب بالمنصور (وهو الخليفة الذي عاش شاعرنا ابن جبر في كنفه طويلاً)، والذي يوصف بأنه الفارس «الذي أظهر أبهة ملكهم، ورفع راية الجهاد ونصب ميزان العدل، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع، ونظر في أمور الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الأقربين، كما أقامها في سائر الناس أجمعين، فاستقامت الأحوال في أيامه، وعظمت الفتوحات»[2].

---

[1] وفيات الأعيان ج٧ ص١٣٠، وما بعدها.
[2] المصدر السابق ج٧ ص٣-١٩.
وللمزيد من التفصيلات يراجع محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، القسم الثاني ومراجعه.

والخلاصة أن حياة المنصور وأخبار بطولاته وإصلاحاته وأعماله الحربية والمعمارية وغيرها مما يحتاج إلى مجلدات لسردها وتحليلها، ولكننا نؤثر التوقف هنيهة أمام ملمحين من ملامح حروبه في المغرب وفي الأندلس، معتنين على وجه الخصوص بالمواقف التي ترددت أصداؤها في شعر أديبنا يحيى بن مجبر، أو اتصلت بهذا الشعر على وجه من الوجوه.

حروب المغرب

قلنا إن سائر الأندلس دان شيئًا فشيئًا لسيطرة الموحدين باستثناء مدن الساحل الشرقي التي كانت خاضعة لنفوذ ابن مردنيش حتى وفاته سنة ٥٦٧هـ، والواقع أن هناك جزائر البليار - وعاصمتها ميورقة - تعتبر مما يلحق بالأندلس، وقد ظلت هذه الجزر لفترة طويلة من الزمن متمردة على التبعية للموحدين، نظرًا لأن أميرها - يحيى بن غانية - كان من بربر لمتونة، أي من المرابطين الملثمين، وبذلك حافظت ميورقة على الخطبة لبني العباس حتى أخريات القرن السادس الهجري.

ولم يكتف بنو غانية بأن يحافظوا على استقلالهم في ميورقة، بل تطلعوا لمنازلة الموحدين في عقر دارهم، وتمكنوا بالفعل من إحراز بعض الانتصارات، منها الاستيلاء على ثغر بجاية سنة ٥٨٠هـ (أي في أخريات عهد الخليفة أبي يعقوب يوسف)، إلاّ أن محاولات بني غانية لم تلبث أن تكسرت على صخرة الخليفة الجديد - المنصور - والذي كان رغم حداثة سنه آنذاك مقاتلاً فذًا واسع الطموح عظيم الإصرار، وتمكن المنصور في العام التالي من استرداد المدينة، كما استولى على أسطول ابن غانية الذي كان رابضًا في مياه بجاية.

ثم تحرك المنصور صوب أفريقية حتى وصل إلى فاس، ثم إلى قسنطينة وسار منها إلى تونس، أمّا الجيش الميورقي فكان على راسه ابن إسحاق علي ابن غانية، تعضده أعداد غفيرة من الأعراب والقبائل، وأيضًا «الأغزاز».

وهم فرقة مغامرة من المماليك، كان على رأسها قائد أفّاق يُدعى قراقوش[1] (وتسميه المصادر المغربية: قراقش)، وتقابل مقاتلو ابن غانية مع الجيش الموحدي على مقربة من مدينة قفصة عند سهل يسمى عمرة، سنة ٥٨٣هـ، ومني الجيش الموحدي ساعتها بهزيمة منكرة، وفرت الفلول المنسحبة إلى قفصة، مما أتاح لابن غانية أن يعمل فيها السيف.

ولدينا عن سير المعارك معلومات كثيرة في العديد من المدونات التاريخية العامة، على أن القسم الموحدي من «البيان المغرب» يضم صورة تفصيلية دقيقة لمسار الأحداث، كما تكفل «الروض المعطار» بتقديم مواد غزيرة، مما يصح معه الاعتماد على هذين المصدرين لاستخلاص الخطوط العريضة للموضوع.

ويحدثنا ابن عذارى عن سعي المنصور لرأب الصدع الذي وقع في عسكره على أثر ما لحق بجيوشه من هزيمة عند عمرة، وهكذا لم يمكث في تونس إلاّ ريثما يجمع صفوفه ويعيد تجهيز الجيش، ثم سار إلى القيروان استعدادًا لخوض غمار المعركة من جديد، وراسل أعداءه كي يحضهم على الطاعة، و لم يجد بطبيعة الحال أذنًا صاغية، ومن ثم لم يكن مناص من الحرب:

«واجتمع أشياخ مملكته ونصحاء خدمته وأرباب دولته، وعرضوا عليه فداءه بنفوسهم، وصونه عن مشاهدة الحرب ببذل مهجهم، وأن يقيم بالمحلة سندًا وراء ظهورهم يلجؤون إليه ويأوون لديه، فكل من أخذ معه في ذلك زجره، وسَفّه رأيه... ولما خرق شروق الشمس جيب الضباب وتراءت بحور الجيوش يركب الموج فيها ردع الموج ويقفو العباب منها أثر

---

[1] أحد مماليك عمر بن شاهنشاه، شقيق صلاح الدين الأيوبي، وكان قد نزح إلى شمال أفريقية في أعقاب سقوط الدولة الفاطمية وتوتر العلاقات بين نور الدين محمود وصلاح الدين، وعلى أثر ذلك فكر الأيوبيون في البحث عن مستقر آخر لهم في حالة استيلاء نور الدين محمود على مصر، وتمكن قراقوش هذا من الاستيلاء على طرابلس وفزان، وانضم إليه كثير من الخارجين على الدولة الموحدية، وطمح إلى إقامة دولة كبرى في المغرب. وهو طموح تحطم في أعقاب استيلاء المنصور على مقاليد الحكم وسحقه لكل القوى المعارضة لنفوذه.

العباب نفخ في وجوه الأعداء طمعهم، وأكذبتهم ظنونهم ورموا أثقالهم وأسلحتهم، وصفقوا للفرار أجنحتهم، والتحق المتقدمون بأواخرهم فاستأصلوهم في معرك واحد عن آخرهم، وسِيق من قبض في المعترك من أعيانهم فقتل بين يدي أمير المؤمنين المنصور، وأفلت قراقش الغزي وابن غانية تحت غسق الضباب...»[1]

ودارت رحى هذه الحرب عند مدينة تسمى الحمة أو حمة مطماطة، وتقع على مقربة من مدينة قابس، حيث كان قراقش وابن غانية قد اتخذاها قاعدة لهما، وعلى أثر المعركة توجه إليها المنصور «فاستسلم له أهلها وفتحوا له أبوابها، وأسلموا أصحاب قراقش وشيعته، وكان اتخذها حصنًا وشحنها بشيعته وأصحابه، وامتنعت شيعته بقصر العروسين منها يومين، ثم نزلوا إليه من الأسوار راغبين في الأمان، فبعث بهم في البحر إلى تونس، ووبخ أهل قابس على اتباع كل ناعق، ثم انحفز إلى توزر فأعلنوا له الطاعة»[2].

وهكذا تم تطهير بلاد الجريد - وعاصمتها توزر - ودانت له سائر مدنها (مثل الحمة ونفطة ونواوة ونقيوس)، ولم يبق أمام المنصور إلاّ إخضاع قفصة، وكانت «أعظم بلاد أفريقية طرا» على حد تعبير الحميري في «الروض المعطار»[3]، وكانت بها وحدات لابن غانية والأغزاز يتحصنون بها لمناعتها، ومن ثم ضرب عليها الحصار.

«ثم قسمت على البلد جميع المجانيق والآلات، وأحاطت بهم من كل الجهات، ودام عليهم حرج القتال، والنكال يأخذهم باليمين وبالشمال، وضم من المجانيق أرفعها أثقالاً، وأشدها خدمة ورجالاً، وجعلت سموت

---

(1) البيان المغرب (قسم الموحدين): ص١٩١.

(2) الروض المعطار: مادة حمة مطماطة، ص٢٠١.

(3) ص٤٧٩، وراجع أيضًا وقائع هذه الحروب في مادة ميورقة ص٥٦٨، وعمرة ص٤١٥، وقفصة ص٤٧٩، وتاريخ ابن خلدون (ط. بيروت ١٩٥٩) ج٦ ص٥٠٩، وفيها أنِ هزيمة الموحدين كانت في غمرة، أما ياقوت في معجم البلدان ج٤ ص٢٨٣ فيشير إلى قفصة قائلا إن «أهلها وأهل قسطيلية والحمة ونفطة وسماطة شراة متمردون على طاعة السلطان».

أحجارها على السور حتى أعادته هباء منبثًا، وصيرته مع ستارته السفلي قاعًا صفصفًا مجتثًا، وأقيم برج على سبع طباق... فشحن بالرماة والآلات، رجال بصفوف الأسلحة والرايات، تحرك بالهمز ولطيف الركز فانساب انسياب الحية الرقطاء، ومرّ على سمته مرّ الحباب على صفحة الماء... ودنا من السور حتى أطل على المدينة إطلال الأهرام وتحكم من أهلها بسوء الانتقام»[1].

و لم يكن أمام قفصة إلاّ الاستسلام لمصيرها، وقبل المنصور أن يخلي سبيل أهل البلد الأصليين، كما سمح للأغزاز بالرحيل عنها، وأمّا شيعة ابن غانية فإنهم ذُبحوا جميعًا، وهدمت أسوار المدينة «وقطع شجرها وغير بهجتها ونزع الحسن عنها» كما يقول الحميري[2] ونجحت هذه الحملة في توطيد دعائم ملك المنصور على سائر أفريقية والمغرب.

وتكشف مجموعة الرسائل الموحدية عن استسلام قراقوش للموحدين إذ «وصل إلى المنصور يوم حلوله تحت أسوار قفصة، خطاب من قراقوش يعرب فيه عن خضوعه ورغبته في دخول التوحيد، وأنه على استعداد إذا ما قبلت توبته أن يأتي إلى الموحدين مستنيبًا طائعًا. وفي اليوم التالي وصل خطاب مماثل من أبي زيان زعيم الغز وزميل قراقوش السابق، وهو الذي استقل بحكم طرابلس يعرب فيه عن انضوائه تحت التوحيد، وأنه قد أظهر دعوة التوحيد في طرابلس ونواحيها»[3].

حروب الأندلس

ارتبط اسم الخليفة المنصور ارتباطًا وثيقًا باسم الأندلس، بفضل ما أحرز من انتصارات أعادت للذاكرة أمجاد يوسف بن تاشفين، بطل معركة

---

(1) البيان المغرب: ص١٩٤.
(2) ص٤٧٩.
(3) عنان: عصر المرابطين والموحدين ص٢، ص١٦٥، وأمّا قراقوش فإنه لم يلبث أن انقلب على الموحدين مرة أخرى، واستولى على قابس ثم طرابلس وبلاد الجريد ودب الخصام بينه وبين يحيى ابن غانية فانهزم قراقوش وهرب إلى الجبال.

الزلاقة، ويمكن القول بأن المنصور كان آخر المنافحين العظام عن الإسلام في الأندلس التي لم تشهد من بعده واحدًا توفر له مثل ما توفر للمنصور من الجَلد والدهاء العسكري والسياسي وقوة التأثير والورع.

وبحسبنا الإشارة إلى إصراره على استرداد مدينة شلب[1] المنيعة، من ثغور الساحل الغربي للأندلس، وكان ابن الرنق (ألفونسو هنريكيز) قد توفي أواخر سنة ٥٨١هـ، بعد حكم دام نحو نصف قرن، نجح خلاله في أن يشيد دولة برتغالية مرهوبة الجانب في غربي البلاد، فلما قضي خلفه ابنه سانشو الأول وسار على غرار أبيه من تعطش لإبادة المسلمين وإخراجهم من سائر مدنهم وحصونهم؛ وكان أول ما تطلّع إليه الاستحواذ على مدينة شلب، وتمكن من ذلك بالفعل في سنة ٥٨٥هـ، وطرد جميع سكانها المسلمين، واستولى على سائر أملاكهم وأموالهم.

وعلى أثر ذلك تحرك المنصور (في أواخر شهر المحرم من سنة ٥٨٦هـ) من رباط الفتح بالعدوة وعبر مضيق جبل طارق حتى وصل إلى قرطبة، وأمر بأن تلحق به جيوش المسلمين في أشبيلية وغرناطة، وفي خلال ذلك هادنه ملك قشتاله، كما عقد ملك ليون معاهدة سلام معه، وظهر جليًا مدى الرعب الذي حاق بملوك النصارى آنذاك خوفًا من قوة الجيوش الموحدية، ثم رجع إلى أشبيلية ريثما ينظم صفوفه مرة أخرى.

وما إن اكتملت الاستعدادات، حتى خرج المنصور على رأس جيوشه الجرارة في اتجاه شلب، وهو عاقد العزم هذه المرة على أخذها سلمًا أو قهرًا. واستولى في طريقه على «قصر أبي دانس من غربي الأندلس، فنزلوا على حكمه، فاحتملوهم إلى مراكش. ورحل من قصر أبي دانس إلى حصن بلماله، فاستسلموا ورغبوا في الأمان على أن يتركوا الحصن ويسلموا في أنفسهم وينصرفوا إلى بلادهم، فأجيبوا إلى ذلك، وخلى سبيلهم، فنهضوا

---

[1] تقع شلب في الطرف الجنوبي من البرتغال وتُعرف الآن باسم Silves، وعرض لها القزويني في آثار البلاد والشريف الإدريسي وياقوت الحموي والحميري، ووصفت بأنها مدينة «حسنة الهيئة بديعة البناء، مرتبة الأسواق، وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن وغيرها، وكلامهم بالعربية الصريحة، وهم فصحاء يقولون الشعر، وهم نبلاء خاصتهم وعامتهم».

إلى بلادهم. وانتهب جميع ما كان في الحصن، ثم هدم، ثم قصد إلى حصن المعدن فافتتح وهـدم. وبعد الفراغ من ذلك كان النهوض إلى شلب، فوصلها في ثاني جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة، فأحدقت الجيوش بها، وأخذت بمخنقها، ونصب عليها المجانيق وآلات الحرب، وجدّوا في قتالها، وبالغوا في نكاية أهلها، فطلبوا الأمان في أنفسهم على أن يسلموا المدينة ويخرجوا إلى بلادهم، فأُجيبوا إلى ذلك»[1].

وهكذا استرد المسلمون مدينة شلب بعد غيبة امتدت نحو عامين.

ورجع بعدها المنصور إلى مراكش، فاستُقْبِلَ استقبال الفاتحين، وتوافد على مجلسه الأعيان والشعراء، و لم يهنأ طويلاً بالدعة، فإن المرض أقعده فترة من الزمن، حتى ظن الناس أنه سوف يهلك من علته. وبادر هو فأخذ البيعة لابنه أبي عبد الله محمد (الذي سوف يُعرف بالناصر)، وكان عليه - بعد أن عوفي - القضاء على الفتن التي اضطرمت ببلاد الزاب، مثل فتنة الأشل ومحاربة بني غانية الذين عادوا إلى بلاد الجريد، بزعامة يحيى بن غانية، وكذلك الثائر الجزيري الذي نقل نشاطه للأندلس وصار له حشد من الأنصار والأتباع.

معركة الأرك

كان من الممكن التوقف عند هذا الحد مع الأحداث التاريخية، على أساس أن شاعرنا ابن مجبر توفي سنة ٥٨٧ أو ٥٨٨هـ، ولكن اعتبارات أخرى تجعل من الضروري أن نوجز القول حول معركة الأرك، ذلك أنها آخر المعارك الكبرى في القرن السادس الهجري، بل آخر الانتصارات الكبرى في سجل الأندلس الإسلامية التي لم تعرف بعد ذلك إلاّ سلسلة

[1] الروض المعطار: مادة شلب (ص٣٤٣)، وكان ابن الرنق قد تمكن من فتحها مستعيناً بأساطيل الجرمان والفلمنك، فضلاً عن الأساطيل التي جاءت من إنجلترا وبلاد الفلاندر وغيرها حتى تمكنوا من الاستيلاء على شلب بعد أن قطعوا عنها الغذاء والماء. وراجع للمزيد من التفصيلات: البيان المغرب، قسم الموحدين (ص٢٠١) وما بعدها؛ وعنان: دولة المرابطين والموحدين ج٢ ص١٧٠ وما بعدها.

متوالية من مواقف النكوص والخذلان والضياع، تمهيدًا لموقف السقوط والتردي، عندما أسلمت غرناطة المنيعة نفسها سنة ٧٩٨هـ لملكي الفرنجة فرناندو وايزابيللا، وانطوت بهذا الاستسلام آخر الرايات الإسلامية التي طالما خفقت على أرض شبه الجزيرة الأيبيرية.

وكان الموقف إبان هذه الفترة مدلهما، لا يقوى على التصدي له إلاّ رجل في مكانة المنصور صلابة وحسن إدارة وقدرة على اتخاذ القرارات المصيرية الكبرى، فقد كانت الأوضاع الداخلية في المغرب مضطربة أيما اضطراب، خاصة بعد استحواذ بني غانية على معظم بلاد الجريد، مما جعل المنصور يتأهب لمنازلتهم، إلاّ أن تردي الأوضاع في الأندلس جعله يكتفي بإرسال النجدات لولاته في أفريقية وأعد العدة لمنازلة فرنجة الأندلس مرة ثانية.

وهكذا تحركت الجيوش الموحدية (سنة ٥٩١هـ) إلى الجزيرة الخضراء، ثم سار إلى اشبيلية وانتقل بعدها إلى قرطبة، ولم يمكث بها سوى ثلاثة أيام، ثم زحف بجيوشه صوب الشمال لملاقاة القشتاليين، وعلى رأسهم ملكهم ألفونسو الثامن، واقتربت القوتان إلى أن التقتا عند نقطة على الحدود الفاصلة بين مملكتي المسلمين وأهل قشتالة، على مقربة من قلعة الأرك المنيعة، التابعة للفرنجة.

ولم تستمر المناوشات طويلاً بين الفريقين، ففي ضحى التاسع من شعبان سنة ٥٩١هـ «نشبت المعركة المرتقبة، وكان القشتاليون حينما رأوا جيوش الموحدين تزحف نحو محلتهم ببطء وقد عبئت للهجوم أكمل تعبئة، قد نزلوا من محلتهم في صفوف كثيفة قائمة»، أو حسبما تصفهم الرواية الإسلامية، وهم «كالليل الدامس والبحر الزاخر، أسرابًا تتلو أسرابا وأمواجًا تعقب أمواجا». ويقدر صاحب روض القرطاس من هبط في هذه الدفعة الأولى من القشتاليين بنحو سبعة آلاف أو ثمانية آلاف فارس (كلهم قد احتجب بالحديد والبيضات والزرد)، ثم يتتبع حركات هذه القوة النصرانية المهاجمة، فيقول إنها اندفعت حتى لطمت خيلها أطراف رماح المسلمين، أو

كادت، ثم تقهقرت قليلاً، وعادت إلى الاقتراب من المسلمين، ثم ارتدت وتهيأت للهجوم الفعلي... وعندئذ تقدمت قبائل العرب والمطوعة والأغزاز والرماة، وأحاطوا بالنصارى من كل جانب، ودفع القائد ابن صناديد بجيوش الأندلس إلى المعركة، وزحفت معه قبائل زناتة وسائر قبائل البربر، واندفعت الجيوش الموحدية بجملتها نحو محلة القشتاليين، واشتد القتال بين الفريقين، وسالت الدماء بغزارة وكثر القتل في مقدمة القشتاليين التي اضطلعت بالهجمة الأولى. واستمر القتال على هذا النحو بعنف وشدة حتى اضطر القشتاليون إلى التقهقر والفرار نحو الربوة التي تحتلها محلتهم، وبدت بوادر الهزيمة على القشتاليين»[1].

ولسنا بصدد الخوض في تفصيلات المعارك الطاحنة التي انتهت بالانتصار الساحق للمسلمين، وتمكن ملك قشتاله من الفرار وحوله حفنة من جنوده، أمّا سائر جيشه فإنه لم ينج من القتل أو الأسر، وأُبيدَ نحو ثلاثين ألفًا منهم (والمصادر تختلف في هذا الصدد اختلافًا كبيرًا: فابن الأثير، على سبيل المثال، يقدّر قتلى الفرنجة بمائة ألف وستة وأربعين ألفًا). وأيا كان الأمر فإن انتصار الأرك اعتبر من أعظم انتصارات جيوش الإسلام، وتمكن المنصور على أثرها من الاستيلاء على كثير من الحصون القشتالية المنيعة؛ ومنها قلعة رباح التي كانت في أيدي القشتاليين زهاء نصف قرن.

ورجعت جيوش المنصور الظافرة إلى أشبيلية ريثما يستريح الجنود؛ ثم تجددت الاستعدادات لحملة جديدة وجهها هذه المرة كذلك ضد القشتاليين، تمكنت من تدمير العديد من حصونهم ومدنهم حتى وصلت إلى عاصمتهم طليطلة فحاصروها، ثم ضربت بالمجانيق، ولكن المسلمين تراجعوا عنها على أمل العودة إليها بعد حين.

وكان رجوع المنصور إلى المغرب في شعبان من سنة ٥٩٤هـ، وأحس

---

[1] عنان، المرجع السابق: ص٢٠٦، وللمزيد من التفصيلات يراجع: البيان المغرب (قسم الموحدين)، وتاريخ ابن خلدون ج٦ ص٢٤٥، وروض القرطاس ص١٤٩ وما بعدها، والروض المعطار (مادة الأراكة)، وتاريخ المن بالإمامة في مواضع كثيرة، وراجع أيضًا الجزء الثاني عشر من الكامل لابن الأثير.

بدنو أجله، فوضح ميله إلى الورع، وله وهو يودع ذويه ورجالات الدولة خطبة مؤثرة، منها أنه قال وعيناه تذرفان الدمع:

«أوصيكم بتقوى الله تعالى، وبالأيتام واليتيمة. فسأله الشيخ أبو محمد عبد الواحد، يا سيدنا يا أمير المؤمنين، ومن الأيتام واليتيمة؟ قال: اليتيمة جزيرة الأندلس، والأيتام سكانها المسلمون، وإياكم والغفلة فيما يصلح بها من تشييد أسوارها وحماية ثغورها وتربية أجنادها وتوقير رعيتها، ولتعلموا أنه ليس في نفوسنا أعظم من همها، ونحن الآن قد استودعنا الله، وحسن نظركم فيها...»[1].

وكانت وفاة المنصور في ربيع الأول من سنة ٥٩٥هـ (يناير ١١٩٩م)، وانطوت بموته مرحلة من أحفل مراحل تاريخ المغرب والأندلس بالأحداث والبطولات، وكأنما كان رحيله نقطة البداية لنهاية دولة الموحدين[2]، بل لنهاية الأندلس كلها... على أن هذا حديثًا آخر يجلي خباياه ويغوص في أعماق مأساته.

---

[1] عنان، المرجع السابق: ج٢ ص٢٣٧، وفي الوثائق السياسية والإدارية في الأندلس وشمال أفريقية لمحمد إبراهيم حمادة (بيروت ١٩٨٠) ص٤١٢.

[2] يمكن إجمال تاريخ هؤلاء الأمراء أو الخلفاء الموحدين على النحو التالي:

٥١٥هـ : المهدي بن تومرت الملقب بالمهدي.
٥٢٤ : عبد المؤمن بن علي.
٥٥٨ : أبو يعقوب يوسف (الأول).
٥٨٠ : أبو يوسف يعقوب (المنصور).
وتولى من بعده ابنه:
٥٩٥ : محمد الناصر لدين الله، وهو الذي زحف بجيوشه لمحاربة الفرنجة، ولكنه مُنِيَ بهزيمة شنعاء في معركة العقاب، في سنة ٦٠٩ (والعقاب – بالكسر – جمع عقبة وليس من المعاقبة كما أنها ليست بضم العين كما تلفظ أحيانا)، وأبيدت فيها الجيوش المغربية والأندلسية.
٦١٠ : أبو يعقوب يوسف الثاني (المستنصر بالله).
٦٢٠ : أبو محمد عبد الواحد (المخلوع).
٦٢١ : أبو محمد عبد الله (العادل).
٦٢٤ : المأمون.
٦٣٠ : أبو محمد عبد الواحد (الرشيد).
٦٤٠ : أبو الحسن علي السعيد (المقتدر بالله).
٦٤٦ : أبو حفص عمر (المرتضى).
٦٦٥ : أبو العلا (الواثق بالله) وهو آخر ملوكهم.

الشعر الأندلسي
في القرن السادس الهجري

لعل القرنين الخامس والسادس أعظم عصور التألق في تاريخ الأدب الأندلسي على نحو ما تكشف عن ثرائه كتب وموسوعات؛ مثل الذخيرة لابن بسام، والقسم الأندلسي من الخريدة للعماد الأصفهاني وقلائد العقيان ومطمح الأنفس للفتح ابن خاقان والمغرب لابن سعيد، بل وأيضًا الكتب المتأخرة، مثل الإحاطة للسان الدين بن الخطيب ونفح الطيب للمقري، وغير ذلك من مئات المجاميع والمدونات والدواوين.

على أننا نكتفي هنا بتقديم ملمح عن القرن السادس الهجري، وبطبيعة الحال فإن الفصل بين القرون مسألة شكلية بحتة، وكل ما في الأمر أننا نرمي إلى تركيز القول في الحقبة التي عاش فيها شاعرنا يحيى بن مجبر، المتوفى سنة ٥٨٨هـ، أو نحو ذلك، وهي على كل حال حافلة بما يحتاج إلى عشرات المؤلفات لكي تستوعب كل هذا الحشد الضخم من آثار وشعراء وكتاب وظواهر فنية نمت في ظل هذا الأدب الأندلسي الذي يُعد – كما يقول كراتشكوفسكي – بحق، أكبر من:

«مجرد فترة من تاريخ الأدب العربي، فإن هذه الفترة من وجود العرب في شبه جزيرة أيبيريا لا يقتصر ارتباطها على حياة الأقطار العربية وحدها. وعندما يجري الحديث عن تطور الثقافة الحالية، فإن هذا الماضي يعطينا مثالاً واضحًا لتمييز الحدود بين الشرق والغرب، ويدخل الشعر العربي في الأندلس في نطاق الثقافة والأدب العالمي، لا لمجرد أنه نما وتطور على أرض إحدى الدول الغربية... المهم هو أن الفترة العربية في الأندلس هي فترة التأثيرات الأدبية العميقة الواسعة التي تسمى جوازًا بالتفاعلات

الغربية – الشرقية أو على وجه التحديد – الرومانية – العربية.»[1]

وربما جاز أيضًا، وقبل الوصول إلى القرن السادس، أن نتساءل عن كنه الشعر الأندلسي بصورة عامة، وهنا سنجد أنفسنا أمام مجموعة من التجديدات العامة التي تذهب إلى أن بواكير مرحلة النضج إنما تبدأ مع مستهل القرن الثالث الهجري، أي بعد مرور زهاء قرن من الزمان على فتح المسلمين لشبه الجزيرة الأيبيرية. وهذه الفترة الزمنية كانت كافية لظهور أجيال من الشعراء الذين ولدوا وشبوا وتثقفوا على أرض الأندلس، من أمثال: يحيى بن الحكم الغزال، وسعيد بن جودى، ثم ابن عبد ربه، وابن هانئ والرمادي، وابن دراج، وابن شهيد[2]. بمعنى أن هذا الشعر «أخذ يتكون حين كان الشعر المشرقي يشهد تجديد بشار وأبي نواس، ويقف على مفترق الطريق بين مذهبي أبي تمام والبحتري؛ ولما كان الأندلسيون حينئذ يلتفتون في كل شيء إلى المشرق، فقد اتخذوا شعر المحدثين مثالاً يقلدونه ومنارًا يهتدون به.»[3]

أمّا «أندلسية» هذا الشعر، فإن استخلاصها يحتاج إلى هوادة وتمعن، فالأصول الفنية التي حكمت شعر المشرق، هي التي امتدت إلى المغرب، ومن الصعب إطلاق أحكام شاملة على مسار حياة الشعر، ولكن يمكن القول بأن أهل الأندلس كانوا في هذه الفترة – القرن السادس – أقل شغفًا بالبديع من نظرائهم في المشرق، من أمثال القاضي الفاضل، وابن قلاقس الإسكندري، وابن سناء الملك وغيرهم.

وهذه النتيجة نستخلصها في شيء من الاطمئنان من خلال التأمل في أعمال شعراء الأندلس العظام في القرن السادس الهجري، ممن سلمت دواوينهم من الضياع أو جُمِعَتْ أشعارهم في العصر الحاضر، وهناك –

---

[1] الشعر العربي في الأندلس، ترجمة د. محمد منير مرسي، القاهرة ١٩٧١، ص٩.

[2] انظر عنهم د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة (القاهرة ١٩٨٥)، الطبعة التاسعة.

[3] د. إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، ط. ثانية، بيروت ١٩٦٩، ج١، ص٤٧.

سبيل المثال لا الحصر - الأعمى التطيلي الأديب الوشاح (ت ٥٢٧هـ)، وابن حمديس الصقلي (ت ٥٢٧هـ)، وابن خفاجة (٥٣٣هـ)... وانتهاءً بأبي بكر بن زهر (الحفيد) المتوفى سنة ٥٩٥هـ، وكل منهم أبدع في شعره غاية الإبداع، وصفا طبعه فبعد عن التكلف والتعقيد.

وامتدادًا من النقطة السابقة نشير إلى عدم احتفاء هؤلاء الشعراء بمنزع التوليد العقلي الذي أُغرم به كثير مِنْ شعراء المشرق آنذاك، حيث دفعتهم الرغبة في الابتكار إلى الوقوع في شراك التكلف والاتكاء على الأفكار والمصطلحات العلمية والفقهية، وما إلى ذلك[1]، وهو ما لا نراه عند الأندلسيين إلاّ في القليل النادر.

وهذا كله أدى إلى أن يكون النص الشعري الأندلسي، بصورة عامة، واضح النسق، مترابط البنيان، لا يلجأ عادة إلى المقدمات الشكلية، ويغلب عليه الميل إلى التشخيص والتفاعل مع الطبيعة والحياة[2].

ويجنح الشعر الأندلسي إلى التعبير عن مدى إقبالهم على الحياة وشغفهم بكل ما يحيط بهم من جمال وترف ونضارة. لذا جاء هذا الشعر في معظمه واضح الأفكار والتراكيب والصور، وقد يوصف بالسطحية وعدم الجزالة وقلة التأنق إلى آخر ما يطلقه أصحاب الأذواق «الكلاسيكية» من أحكام قاسية، لا تخلو من تعسف.

ويلاحظ، على كل حال، أن الشعر الأندلسي أكثر «رومانسية» من الشعر المشرقي، وهذه بدورها مقولة ضخمة تحتاج إلى مزيد من الشرح والاستدلال والتحديد، فضلاً عن أن تحديد «الرومانسية» أمر معقد. كل ما نريد أن نقوله الآن في إيجاز إن الحدة العاطفية تبدو أشد توهجًا في الأندلس منها في المشرق، على الأقل إبان تلك الفترة التي نعرض لها، والتي ضمت شعراء مثل الأعمى التطيلي (توفي سنة ٥٢٥هـ)، وله ديوان حافل

---

[1] للمزيد من التوسع يُراجع: ج. حكمت الأوسي: الشعر في عصر الموحدين، ص٢٤٣.

[2] راجع في ذلك كتاب د. عبد العزيز الأهواني: ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر؛ وانظر كتابنا: النصوص الصقلية، والمراجع المذكورة فيه.

بالمدائح والغزليات والموشحات، ومن جميل شعره قوله:

بنتم فخلّد عني وشك بينكم — شوقًا نفى جلدي لا، بل سبى خلدي

هيهات يسلو فؤادي عنكمُ أبدًا — أنّي ووجدي بكم باقٍ على الأبدِ

أما كفى حزنًا أن قد ظميتُ وقد — عاينتُ عذب الحيا يجري على البردِ

غنت فلو أَن ميتًا كان يسمعها — لعاد حيًا كأن لم يَرِدْ يوم ردي

رفقًا بقلبي يا قلبي فإنك قد — أسكنت منه الأسى في السهلِ والجلدِ

لم تنطقي قط إلاّ ظَلْتُ أفرَق من — أن استطار فلم أبدئ و لم أُعِدِ

ولا مددت يدًا للعود عامدة — إلاّ وضعت عليه، أن ينوب، يدي[1]

ولحمدونة بنت زياد المؤدب شعر يترقرق عذوبة وعمق إحساس وجمال تعبير، ومما ينسب لها هذه الأبيات المشهورات:

وقانا لفحة الرمضاء واد — سقاه مضاعف الغيث العميمِ

حللنا دوحه فحنا علينا — حنو المرضعات على الفطيمِ

وأرشفنا على ظمأ زلالا — ألذّ من المدامةِ للنديمِ

يصد الشمس أنا واجهتنا — فيحجبها ويأذن للنسيمِ

يروع حصاه حالية العذارى — فتلمس جانب العقد النظيمِ[2]

أو تقول:

أباح الدمع أسراري بواد — له للحسن آثار بوادي

فمن نهر يطوف بكل زهر — ومن روضٍ يرف بكل وادي

ومن بين الظباء مهاة أنس — سبت لبى وقد ملكت فؤادي

لها لحظ ترقده لأمر — وذاك الأمر يمنعني رقادي

إذا سدلت ذوائبها عليها — رأيت البدر في أفق السواد

كأن الصبح مات له شقيق — فمن حزن تسربل بالحداد

---

(1) ديوان الأعمى التطيلي: تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٣، ص٢٤٨.

(2) راجع عن حمدة: الإحاطة ج١ ص٤٩٠، ووصفت بأنها «نبيلة شاعرة كاتبة»، وهذا النص ينسب أحيانًا للشاعر المشرقي المنازي. وراجع عنها أيضًا نفح الطيب ومحمد المنتصر الريسوني: الشعر النسوي في الأندلس (بيروت ١٩٧٨)، ود. مصطفى الشكعة: الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه (بيروت ١٩٧٤).

وأيضًا:

ولما أبى الواشون إلاّ قتالنا ... وما لهمُ عندي وعندك من ثار

وشنوا على آذاننا كل غارة ... وقلّت حماتي عند ذاك وأنصاري

رميتهم من مقلتيك وأدمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

على أن الشعر الأندلسي لم يكن كله شعر لهو وغزل وهيام في رحاب الطبيعة، فقد خاض في مختلف مجالات التعبير، والتصق بالخلفاء والأمراء وذوي الجاه، وتناول كذلك المعارك فهلل للانتصارات، ونقب عن الأعذار عند الهزيمة، وتحول أحيانًا إلى ما يشبه «البيانات» الحماسية الناطقة باسم الدولة، فمن ذلك أن الخليفة أبا يعقوب يوسف أمر بأن تذاع في قبائل أفريقية قصيدة تحضهم على ترك الخلافات والتأهب للجهاد لنصرة الأندلس، فكتب على أثر ذلك طبيبه الفيلسوف أبو بكر بن طفيل قصيدة طويلة مطلعها:

أقيموا صدور الخيل عند المضارب ... لغزو الأعادي واقتناء الرغائب[1]

ومن أبياتها:

ألا فابعثوها همة عربية ... تحف بأطراف القنا والقواضب

أفرسان قيس من بنيّ ابن عامر ... وما جمعت من طاعن ومضارب

لكم قبة للمجد شدوا عمادها ... بطاعة أمر الله من كل جانب

كما أمر الخليفة بأن توجه قصيدة ثانية، فكتب ابن عياش الكاتب على الأثر:

أقيموا إلى العلياء عوج الرواحل ... وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل

وقوموا لنصر الدين قومة ثائر ... وشدوا إلى الأعداء شدة صائل

فما العز إلاّ ظهر أجرد سابح ... يفوت الصبا في شده المتواصل

وأبيض مأثور كأن فرنده ... على الماء منسوج وليس بسائل

ومن أبرز شعراء هذه الفترة أبو عباس الجراوي (منافس ابن مجبر،

---

[1] انظر الإحاطة في أخبار غرناطة: ج٢ ص٤٧٩.

وسنعرض له بعد قليل)، وله عشرات القصائد في مدح الخليفة أبي يعقوب يوسف، ثم ابنه المنصور، وله في التهنئة بانتصاره على بني غانية وفتح قفصة قصيدة، ذكر منها ابن عذاري عشرين بيتًا، يستهلها بقوله:

فتح يطاول فتحه الأحقابا ... خضعت له فرق الضلال رقابا
واستشعر المراق منه مخافة ... ملكت عليهم جيئة وذهابًا
وغدا به ما قد صفا من عيشهم ... كدرا وما فيه الحلاوة صابا

ويقول في وصف الانتصار:

آيات نصر بينات كلها ... بهرت بما جاءت به الألبابا
خصت إمامًا للبرية مجتبى ... برًا تقيًا خاشعًا أوّابا
ملك عليه مسحة ملكية ... لبس الزمان جمالها جلبابا

وللجراوي قصيدة قالها يهنئ المنصور باستيلائه على مدينة شلب من أيدي فرنجة البرتغال:

إياب الإمام حياة الأمم ... توالى السرور به وانتظم
وجاء به الأرض صوب الحيا ... وجلى الظلام به بدر تم
فتوح عظام جناها الزمان ... لذي همم دونهن الهمم

وإذا كان هذا النمط من الشعر يزخر بالخطابية وإضفاء شتى النعوت على الممدوحين، والقدح في الأعداء بكل السب، فإن في بعض نماذجه ما يفصح عن شاعرية أصيلة تفاعلت من المواقف، ومزجت مزجًا حيًا بين ذات الأديب وشخص الممدوح وجلال الأحداث، (على ما سنرى في كثير من شعر ابن مجبر)، وتوهج الشاعرية، كما في مدحة ابن حزمون التي وجهها للخليفة المنصور في أعقاب النصر يوم «الأراكة»:

حيتك معطرة النفس ... نفحات الفتح بأندلس
فذر الكفار ومأتمهم ... إن الإسلام لفي عرس
أإمام الحق وناصره ... طهرت الأرض من الدنس
وملأت قلوب الناس هدى ... فدنا التوفيق لملتمس
ورفعت منار الدين على ... عمد شم وعلى أسس

وصدعـت رداء الكفـر كمـا صـدع الديجـور سـنا قبـس
لاقيـت جموعهـم فغـدوا فرسـا في قبضـة مفـترس
جـاؤوك تضيـق الأرض بهـم عـددًا لم يحـص ولم يقـس
ومضيـت لأمـر الله علـى ثقـة بـالله ولم تخـس
فأنـاخ المـوت كلاكلـه بظبـاك علـى بشـر نجـس
وتسـاوى القـاع بهـامهم الـ ـمرفـض مـع الحـدب الضـرس
فـأولئك حـزب الكفـر ألا إن الكفـار لفـي نكـس

وهكذا ننتهي من هذه العجالة الموجزة عن الأدب في القرن السادس الهجري في الأندلس. وهي فترة نهضة أدبية وعلمية وحضارية أحيت عهود التألق التي كانت عليها البلاد على أيام دول الطوائف، ومحت حالة الركود الفكري التي سادت على زمن المرابطين، كما أن هذا القرن كان عصر قوة نسبية للمسلمين هناك، وهكذا تفتقت الطاقات الفنية لمن ذكرنا من شعراء، وشهدت الأندلس كذلك عبقريات في مجال الفكر مثل ابن رشد، وظهر في مضمار الطب أبو بكر ابن طفيل، وفي النحو ابن مضاء صاحب «الرد على النحاة»، وفي هذا القرن بلغت الموشحات ذروة تألقها، كما انتشرت فيه الأزجال على يدي أبي بكر ابن قزمان، وظهرت فيه نخبة طيبة من رائع كتب الأدب مثل الذخيرة لابن بسام وقلائد العقيان والمطمح لابن خاقان، وزاد المسافر لصفوان بن إدريس... الخ.

(١)
يحيى بن مجبر
أضواء على حياته

لا نملك عن ابن مجبر إلاّ مجموعة ضئيلة من المعلومات، لا تتجاوز الاسم والموطن وبعض مواد مبتسرة عن صلاته مع رجالات العصر، وقدر من القصائد والمقطعات لا تمثل شيئًا بالقياس إلى ما كان عليه ديوان الشاعر.

أمّا الاسم فإن أشمل صورة له تأتي على النحو التالي:

أبو بكر، يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن بن مجبر، الفهري[١]، ثم ترد بعد ذلك نسبته إلى مسقط رأسه أو منشئه أو مستقره، على نحو ما سوف يأتي بعد قليل.

وليس ثمة خلاف كبير على هذا الاسم، فهناك اتفاق على أن كنيته أبو بكر وعلى اسمه واسم أبيه واسم جده (وإن كان اسم الجد: عبد الرحمن لا يرد إلاّ نادرًا)، ولعل الشئ الرئيسي الذي وقع فيه اضطراب هو اسم الشهرة:

---

[١] هكذا يرد في مخطوطة التكملة لابن الأبار وفي الوفيات والإحاطة ونفح الطيب، (وإن كان ابن خلكان لا يذكر نسبته إلى فهر، ويضيف: المرسي الأندلسي).
ويرد بغير اسم الجد في سير أعلام النبلاء والعبر للذهبي والفوات وغيرها، أمّا شذرات الذهب ففيها:
«ابن مجبر الشاعر أبو بكر بن يحيى بن عبد الجليل الفهري الإشبيلي صاحب الأندلس»، ولا شك أنه يحيى وليس ابن يحيى، ولم يكن يومًا صاحب الأندلس، وإنما الصواب:
شاعر الأندلس.
وينبغي التفريق بينه وبين الشاعر الأندلسي: أبي بكر يحيى بن عبد الجليل المرسي المعروف باليكي (المتوفى بعد سنة ٥٦٠هـ)، وكذلك: أبي بكر يحيى بن عبد الرحمن الأندلسي الملقب بوجنة الحية أو وجه الحية. انظر عنه ابن حجر في «نزهة الألباب في الألقاب»، تحقيق عبد العزيز السديري – الرياض ١٩٨٩ ج٢ ص٢٢٨. كذلك لا صلة بينه وبين ابن مجبر (الصقلي) الذي ذكره العماد الاصفهاني في القسم المصري من الخريدة، ولا بعبد الله بن مجبر الذي ذكره العماد كذلك.

أهو ابن مُجْبَر بضم الميم وسكون الجيم وفتح الباء؛
أم هو ابن مُجبْر بسكون الباء؛
أم ابن مُجير - أي بالياء بدلاً من الباء - ؟
إن معظم المصادر ضبطته وفقًا للصيغة الأولى (أو بالأحرى ضبط هكذا في النسخ المطبوعة)، مثل: بغية الملتمس[1]، ووفيات الأعيان، والفوات، وسير أعلام النبلاء، وعبر الذهبي، وزاد المسافر... الخ.
و لم نجده مضبوطًا بكسر الباء إلاّ في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة[2].

بينما يأتي في صورة: ابن مجير في كشف الظنون، وفيه أيضًا جملة تقول: وهو بخط ابن قاضي شهبة: المعروف بابن مجير[3]؛ ومن الملاحظ أن الزركلي في الأعلام[4] أخذ بهذا الرأي، خلافًا لما ذكرنا من مصادر.
وواضح أن نسبته إلى فهر - أي أنه كان عربي الأرومة - لم تكن محل خلاف...
وننتقل الآن لمجموعة أخرى من النعوت تتعلق بمسقط رأس الشاعر أو المنشأ أو المستقر. وهنا نجد أكثر من نسبة وإن كان يقال عنه عادة: «المرسي ثم الإشبيلي»، وفي ابن الأبار أنه «من أهل شقورة[5] وسكن إشبيلية»، وفي الروض المعطار:
«ومن شقورة أبو بكر بن مجبر الشاعر المفلق المجيد شاعر دولة بني عبد المؤمن.»
ويقول صفوان بن إدريس صاحب زاد المسافر، إن ابن مجبر «من بلش» (على مقربة من مالقة) بينما يأتي في الإحاطة إنه فرنشي...!!

---

(1) بغية الملتمس: ط. القاهرة ١٩٦٧.
(2) معجم المؤلفين: ج١٣ ص٢٠٤.
(3) حاجي خليفة، كشف الظنون: ط. طهران سنة ١٣٨٧، المجلد الأول عمود ٧٦٨. وانظر أيضًا هدية العارفين: ج٢ ص٥٢١.
(4) الزركلي: الأعلام (ط. خامسة، بيروت ١٩٨٠)، ج٨ ص١٥٢.
(5) انظر عن شقورة، معجم البلدان: ج٢ ص٣٥٥، وقال إنها تقع شمالي مرسية، وبها كانت دار إمارة همشك - أحد ملوك تلك النواحي.

ومعنى ذلك أن شاعرنا ينسب إلى ثلاث مدن: شقورة، وبلش، ثم هذا الاسم الثالث، وصوابه فرِّيش.

أمّا شقورة فيأتي عنها في الروض المعطار أنها «مدينة من أعمال جيان، قالوا: وجبل شقورة ينبت الورد الذكي العطر والسنبل الرومي والطيب»، وقال ياقوت إنها تقع «شمالي مرسية، ... بها كانت دار إمارة همشك، أحد ملوك تلك النواحي، ينسب إليها عبد العزيز علي بن موسى الغافقي الشقوري».

وأمّا بِّلش «أو بلّيش» فذكرها ابن الخطيب في «معيار الاختيار» قائلاً إنها «نعم البلد الطيب، حلي ونحر، وبرك وبحر... وفواكه من شمال ويمين... إلاّ أن التشاجر بها أنمى من الشجر، والقلوب أقسى من الحجر، وتقوى أهلها بيّنة الحسد والضجر، وشأنها غيبة ونميمة، وخبث ما بها... تميمة»[1]. وذكرها صاحب المغرب في فصل بعنوان «كتاب التربيش في حلى مدينة بليش»، وقال إنها:

«مدينة في شرقي مالقة، عامرة آهلة ضخمة الأسواق، الحضارة أغلب عليها من البادية، وليس في قواعد أعمال مالقة مثلها في الحضارة، وحولها ضياع كثيرة، وقد مررت بها مع والدي وسألت: هل فيها من له نظم؟ فيم نجد من يؤبه به. وذكر لي أحد أدبائها أن منها شاعرين: عبد العزيز بن الطراوة وصالح ابن جابر.»[2]

وأمّا فريش فيحددها ياقوت بأنها بقع غربي فحص البلوط بين الجوف والغرب من قرطبة[3].

وإذا كان من الثابت أنه قضى شبابه في مرسيه، ولم يغادرها إلى إشبيلية إلاّ بعد سنة ٥٦٧، فإننا لا نعرف على وجه التحديد أين ولد (أفي شقورة أم بلش أم فريش). ولعله ولد في فريش، ثم ارتحلت به أسرته إلى شقورة، أو

---

[1] معيار الاختيار: تحقيق محمد كمال شبانة، ط. المغرب سنة ١٩٧٦، ص٩٢، والنص كذلك في ريحانة الكتاب لابن الخطيب، تحقيق عنان – القاهرة ١٩٨١، ج٢ ص٢٨٧.

[2] علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب: الطبعة الأولى سنة ١٩٥٣، ج١ ص٤٤٢-٤٤٣.

[3] معجم البلدان: ج٣ ص٢٥٩.

بلش، على مقربة من مرسية[1] التي بقي بها حتى تجاوز الثلاثين من عمره.

وأيا كان الأمر، فإن شاعرنا استقر في فترة شبابه بمدينة مرسية، ودليلنا على ذلك عبارات متناثرة في بعض كتب التاريخ، مثل تلك الجملة في «التكملة»:

«نشأ بمرسية، وأخذ عن شيوخها وتأثر بهم.»

وفي الإحاطة: «امتدح الأمراء والرؤساء، وكتب عن بعضهم، وحظي عندهم حُظْوة تامة، واتصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد، وله فيه أمداح كثيرة، وبعد موت الأمير المذكور، وكونه في جملته استحق الذكر فيمن حل بغرناطة.»

وابن سعد المعني هنا هو الأمير الشهير ابن مردنيش الذي أشرنا إليه قبلاً في إيجاز، وله في هذه المرحلة ملاحم بالغة الغرابة والعنف. فقد كان أحد الشخصيات المتمردة المغامرة التي ظهرت في شرقي الأندلس، وتبنى شعار ضرورة استقلال أهل البلاد بتسيير أمورهم من غير وصاية من قبل المغرب (أي ضد المرابطين، ثم الموحدين)، وساعدته بيئة شرقي الأندلس على ذلك. ومن المؤسف أن جل استناده كان على الممالك النصرانية في الشمال والثغر الأندلسي الأعلى، أي على مملكة قشتالة بصورة خاصة.

وكانت بلنسية قاعدة المرابطين في الشرق الأندلسي، إلى أن استقل بها قائد الثغر أبو عبد الله بن عياض، وانتهى الأمر بأن عين ابن عياض صهره عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش نائبًا عنه في بلنسية، ثم أصبح ابن أخيه محمد بن سعد نائبًا على مرسية. وبعد مقتل ابن عياض سيطر ابن مردنيش على إمارة شرقي الأندلس كلها اعتبارًا من سنة ٥٤٢هـ. ويقول ابن سعيد – نقلاً عن صاحب فرحة الأنفس – إنه «ملك مدينة جيان ومدينة غرناطة وما بينهما، ومدينة بلنسية ومدينة طرطوشة»[2].

---

[1] هناك أديب من شرقي الأندلس يدعى أبا بكر المرسي (انظر عنه الخريدة [قسم الأندلس] ج٢ ص١٤٨)، وأصله من إشبيلية، وكان شاعرًا وشاحًا، وننبه إليه حتى لا يخلط القارئ بينه وبين شاعرنا أبي بكر المرسي المعروف بابن مجبر.

[2] المغرب: ج٢ ص٢٥٠؛ وانظر أعمال الأيام لابن الخطيب: ص٢٩٨.

ولا يعرف على وجه الدّقة إن كان ابن مردنيش هذا عربي الأرومة أم من المولدين (وفي هذه الحالة يكون اسمه تعريبًا للاسم الأسباني مرتينيز Martinez أو لاسم قريب من ذلك)؛ ولكن من المؤكد أنه «كان مولعًا بمحاكاة النصارى في زيهم وعاداتهم، وكان يجيد اللغة القشتالية، ويؤثر التحدث بها؛ وكان يدعو إلى جيشه كثيرًا من النصارى المرتزقة من القشتاليين والقطلان والبشكس»[1].

ونخلص من هذا كله إلى أن المعلومات التي لدينا عن حياة ابن مجبر في مرسية ضئيلة للغاية، ولكن ما نرجحه أن الرجل عاش فيها حياة وادعة آمنة، فقد تميزت المدينة بجمالها الفريد، ولعل خير ما يصوره ما جاء في كتاب المغرب في باب النغمة المنسية في حلى حضرة مرسية – نقلاً عن المسهب – :

«مرسية أخت إشبيلية، هذه بستان شرق الأندلس، وهذه بستان غربها، قد قسم الله بينهما النهر الأعظم، فأعطى هذه الذراع الشرقي وأعطى هذه الذراع الغربي.

ولمرسية مزية تيسير السقيا منه وليست كذلك إشبيلية، لأن نهر مرسية يركب أرضها، وإشبيلية تركب نهرها. ولمرسية فضل ما يصنع فيها من أصناف الحلل والديباج، شريف المكان، كثيرة الإمكان.»[2]

وكانت المدينة حافلة آنذاك بالعديد من الكتاب والشعراء وأهل العلم، منهم ابن موهد الشاطبي، وذكر ابن سعيد إنه «سكن مرسية، ومدح بها ابن مردنيش ملك شرق الأندلس»[3].

ومن الكتّاب أبو يعقوب يوسف بن الجذع[4] وأبو جعفر أحمد السلمي[5]، وأبو علي بن حسان[6]، وقد كتبوا جميعًا لابن مردنيش؛ ومن أشهر شعراء مرسية، صفوان بن إدريس، مؤلف «زاد المسافر»، وذكر له

---

[1] عنان: المرجع المذكور له، ج١ ص٣٦٦.
[2] المغرب: ج٢ ص٢٤٥.
[3] المغرب: ج٢ ص٣٩٠.
[4] المغرب: ج٢ ص٢٥٠.
[5] المغرب: ج٢ ص٢٥٥.
[6] المغرب: ج٢ ص٢٥٥.

ابن سعيد الأبيات «التي يغني بها في الآفاق»، وهي:

يا حسنه والحسن بعض صفاتهِ	والسحر مقصور على حركاتهِ
بدر لو أن البدر قيل له اقترح	أصلاً لقال أكون من هالاتهِ
يعطي ارتياح الحسن غصن أملد	حمل الصباح فكان من زهراتهِ
والخال ينقط في الصحيفة خده	ما خط مسك الصدغ من نوناتهِ

هكذا أصبح ابن مردنيش صاحب الكلمة النافذة في مرسية وبلنسية وغيرهما - من طرطوشة في الشمال وحتى قرطاجنة ولورقة جنوبًا -، ومن يمضي في متابعة تاريخ هذا المغامر الجسور، الممتلئ بشهوات الطموح والشر والكبرياء، يصل إلى نهايته - سنة ٥٦٧هـ - إذ يموت (أو ينتحر أو يقتل بالسم... الله أعلم). والجيش الموحدي يطبق على بلاده، وتنطوي برحيله تلك الصفحة الحافلة بالأهوال والغرائب والدم والتعلق بشهوات الحياة، وتنطفئ «شخصية أندلسية» تقليدية تجمع بين طياتها أقصى درجات التناقض في السلوك والتفكير.

هذه هي الشخصية التي قالت المصادر إن شاعرنا ارتبط بها ودبج فيها المدائح، لكن هذا الشعر اختفى كله، كما اختفى كل ما قاله من مديح في رجالات ابن مردنيش (ما عدا بعض مقطوعات قيلت في إبراهيم بن مردنيش عندما جمح به جواده، فقال ابن مجبر في ذلك، أي من اللون الذي يسميه البلاغيون: تحسين القبيح)؛ ومنهم أبو الحجاج يوسف بن سعد - شقيق ابن مردنيش - وكان نائبه على بلنسية، وكذلك الأمير إبراهيم بن همشك، صهر ابن مردنيش، وكان من مشاهير رجالات الأندلس آنذاك، وكثيرًا ما «كان يضرب به المثل في السطوة والقتل»[1].

كذلك لا نجد أثرًا لمديح في يوسف بن هلال، صهر ابن مردنيش، وكان نائبه على حصن مطرنيش، ولكن هناك بيتين في رثاء القائد أبي عثمان سعيد بن عيسى الذي نصبه ابن مردنيش على لورقة، إلاّ أن هذه المقطوعة لا تنتمي إلى الفترة البلنسية من حياة شاعرنا، لأن ابن عيسى عاش

---

[1] المغرب: قسم الأندلس، ج٢ ص٥٥.

بعد أن سقط ملك ابن مردنيش، واصبح هـذا القـائد مـن رجـالات الدولـة الموحدية المبرزين، إلى أن استشهد في ساحة الوغى.

ثم تكون النقلة من مرسة إلى إشبيلية - من أقصى الشـرق إلى أقصـى الغرب، وهي نقلة قد تبدو غريبة، لكن في واقع الأحداث ما يجعلهـا طبيعيـة منطقية، ذلك أن إشبيلية كانت حاضرة الدولة الموحديـة في الأندلـس، كمـا كانت حاضرة دولة بني عباد من قبل، في حين أن الشرق الأندلسي كان قد فقد مكانته بعد وفاة ابن مردنيش، فضلاً عما كان يتهدده مـن أخطـار مـن جراء مجاورته لأملاك الفرنجة الذين التهموا من قبل منـاطق الثغـر الأندلسـي الأعلى، وراحوا يتطلعون للانقضاض على مدن الشرق الأندلسي التي تليها.

ومن الطبيعي أن يسعى ابـن مجبر لاحتـلال مكانتـه في بـلاط الخليفـة الموحدي أبي يعقـوب يوسـف، وكـان شـاعره المقـرب آنـذاك أبـو العبـاس الجراوي[1] (أحمد بن عبد السلام) من أهل تادلا واسـتقر في مراكـش، وهـو ممن برعوا في المديح والهجاء المقذع، ولكن هناك إشارة قد تدل على أن ابن مجبر استطاع أن يزعزع الجراوي من مكانتـه، فهنـاك خـبر يقـول إنـه أنشـد ذات يوم بين يدي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن قصيدة، منها هذا البيت:

إن خـير الفتـوح مـا كـــان عفــوًا   مثلمـا يخطـــب الخطيـب ارتجـالاً

---

(1) جاء عنه في وفيات الأعيان، في ثنايا ترجمة يوسف بن عبد المؤمن، ج٢ ص١٣٧:
وكان الأديب أبـو العبـاس أحمـد بـن عبـد السـلام الكورايي - كورايا قبيلـة مـن البربر منـازلهم بضواحي مدينة فاس، وقيل إن هذه القبيلة إنما يقال لها جَراوة بفتح الجيم، وقد تبـدل الجيـم كافًا، فيقال لها كراوة، والنسبة لها جـراوي وكـراوي - وكـان هـذا الأديـب نهايـة في حفـظ الأشـعار القديمة والمحدثة، وتقدم في هذا الشأن وجالس به عبد المؤمن، ثم ولده يوسف، ثم ولــده يعقـوب، وجمع كتابًا يحتوي على فنون الشعر على وضع الحماسة لأبي تمام الطائي وسماه «صفـوة الأدب وديوان العرب»، وهو كثير الوجود بأيدي الناس، وهـو عنـد أهـل المغـرب كالحماسة عنـد أهـل المشرق. وهذا الكتاب ألفه للمنصور الموحدي. وذكر أيضًا أن «له كل شعر مليح، وكان شيخا مسنا جاوز الثمانين سنة، وتوفي في آخر أيام الأمير يعقوب (المنصور). وعُـرف بالهجـاء المقـذع، فمن ذلك قوله يذم أهل فاس:

مشى اللـؤم في الدنيـا طريـدًا مشـردًا   يجـوب بـــلاد الله شـــرقًا ومغربــا
فلمـــا أتــى فاسًـــا تلقـــاه أهلهـــا   وقــالوا لــه أهــلاً وســهلاً ومرحبـا

وانظر عنه: التكملة ١٣٨؛ والغصون اليانعة ٩٨؛ ومقدمة كتابه الحماسة المغربية؛ أو مختصر صفوة الأدب؛ ونخبة ديوان العرب بتحقيق د. محمد رضـوان الدايـة، جزءان، بيروت ١٩٩١؛ والنبـوغ المغربي، ج١ ص١٧٩، الخ...

فعلق الجرواي على البيت بأنه مأخوذ من قول وضاح:

خير شراب ما كان عفوًا كأنه خطبة ارتجال

«فبدر المنصور وهو حينئذ وزير أبيه وسنه قرب العشرين، وقال: إن كان اهتدمه فقد استحقه، لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف، فسر أبوه بجوابه وعجب الحاضرون»[1].

وفي الإحاطة أنه «مدح يوسف بن عبد المؤمن، ونال جوائزه»[2] ولكننا لا نجد فيما بين أيدينا من شعر ابن مجبر، أي نص في مدح هذا العاهل الموحدي، وكل ما هناك مطلع مرثية له فيه، أوردها ابن خلكان[3] ونقلها عنه المقري[4] في خبر يقول إن هذا الخليفة لما مات: «رثاه الأديب أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأولها:

جل الأسى فأسل دم الأجفان ما ذا الشؤون لغير هذا الشأن

وهذا كل ما وصل إلينا من هذه المرثية التي وصفت بالطول والجودة.

وهكذا يفضي القول إلى تناول صلة ابن مجبر بالخليفة الموحدي «المنصور»، حيث يصبح ابن مجبر بعد فترة وجيزة شاعره الأثير المترنم ببطولاته وسجاياه، المندد بأعدائه في كافة المناسبات، بينما يتوارى عباس الجراوي للمحل الثاني...

وأول خبر يجمع بين المنصور وابن مجبر ينبغي أن يكون تاريخه نحو سنة ٥٧٥هـ، إذ كان المنصور في الحكاية المذكورة وليًا للعهد (والمعروف أنه ولي الخلافة سنة ٥٨٠هـ، على أثر وفاة أبيه أبي يعقوب يوسف)، وأنه كان في نحو العشرين من عمره، والمتفق عليه أن ميلاده كان في سنة ٥٥٤هـ، أو السنة التي تليها؛ أمّا الشاعر فإنه كان في عنفوان السن والنضج إذ لم يكن قد تجاوز الأربعين ربيعًا.

ثم تتوالى القصائد المدحية في المنصور، على نحو ما تكشف عنه عبارة

---

[1] نفح الطيب: ج٣ ص٢٣٧-٢٣٨.

[2] الإحاطة: ج٤ ص٤١٨.

[3] وفيات الأعيان: ج٧ ص١٣٣.

[4] نفح الطيب: ج٤ ص٣٨٠.

ابن خلكان التي يقول فيها عن ديوان ابن مجبر: «ونظرت فيه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب بن عبد المؤمن»؛ والمفترض هنا أن ابن خلكان يعني: «في الأمير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن»، وليس «في الأمير أبي يعقوب بن عبد المؤمن»، لأن مجمل الأخبار والنصوص التي نملكها تؤكد أن الشاعر كرس طاقته في مدح الخليفة يعقوب الملقب بالمنصور، وقد أخبرنا الضبي في «بغية الملتمس»، أن ديوان ابن مجبر يقع في سفرين ضخمين، و لم يصل هذا الديوان إلينا، ولنا أن نفترض أن المديح يشغل الحيز الأكبر منه، ولنا أن نفترض كذلك أن مدائحه في الخليفة المنصور تحتل قصب السبق فيه.

ويمكن استخلاص مجموعه من الملاحظات:

◊ إن شاعرنا – بعد أن ترك مرسية – استقر بصورة أساسية في إشبيلية؛ وفي نفح الطيب «أنه كانت له وفادة على المنصور كل سنة»[1]، أي سفرة إلى مراكش عاصمة الموحدين، ينشده فيها المدائح، وينال الجوائز.

◊ يُستدل من خلال بعض الأخبار المتناثرة أن الشاعر كان يتنقل في موكب الخليفة خلال تجواله عبر مدائن الأندلس. وفي الإحاطة: «ومر المنصور أيام إمرته بلوقية من أرض شلب، ووقف على قبر أبي محمد ابن حزم، وقال: عجبًا لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم، ثم قال: كل العلماء عيال على ابن حزم، ثم رفع رأسه وقال: كما أن الشعراء عيال عليك يا أبا بكر، يخاطب ابن مجبر.»[2]

◊ مرت عبارة تقول إنه، امتدح الأمراء والرؤساء، وكتب عن بعضهم وحظي عندهم حظوة تامة، واتصل بالأمير أبي عبد الله بن سعد، واستدللنا منها على أنه «كتب عن بعضهم»،

---

[1] نفح الطيب: ج٣ ص٢٤١.

[2] الإحاطة: ج٤ ص٤١٨؛ بينما يرد النص نفسه في نفح الطيب: ج٣ ص٢٣٧ «على أنها أونبة وليست لوقية، في حين أن ابن حزم ملفون في موطن أسرته سنت ليثم (كازا مونيخو الآن) من أعمال مدينة لبلة، وهي بعيدة عن شلب.»

أيام مقَامِهِ في مرسية، فهل استمر على هذا النهج بعد أن انتقل إلى إشبيلية؟ لسنا نملك نصًا واضحًا في هذا، ونحن نرجح أنه ظل على عهده بالكتابة لدى بعض الأمراء والرؤساء، خاصة وأننا لا نعرف أنه ارتبط يومًا ما بمنصب ثابت في الدولة أو امتهن مهنة معينة.

◊ ونشير هنا إلى لقب «الأديب» الذي طالما نعت به شاعرنا، وأمره غامض شيئًا ما إذ كان قليلاً ما يطلق على الشعراء وعادة ما كان يسبغ على الكتّاب من أهل الظرف واللباقة والثقافة العامة، والدلائل تشير إلى أن صاحبنا كان من هذا الطراز، فضلاً عن براعته في مضمار الشعر.

ومع ذلك فإننا لا نجد لابن مجبر أي نص نثري، كما لا يوجد شيء يشير إلى أنه ألف كتبًا أو جمع مختارات، على نحو ما فعل أبو العباس الجراوي – منافسه الأول في زعامة الشعر آنذاك – الذي ألف كتابًا يحمل عنوان «صفوة الأدب وديوان العرب»، واشتهر هذا الكتاب في المغرب شهرة تناظر تلك التي حظيت بها حماسة أبي تمام في المشرق...

وقد يقال إن ابن مجبر اشترك في تأليف مقامة عرفت باسم «المقامة الحسينية»، وردت في مجموعة أدباء مالقة لابن خميس، وأورد منها ابن الأبار في «تحفة القادم» قطعة لا بأس بها.

ولكن واقع الأمر أننا هاهنا أمام «مقامة» شعرية أو فلنقل إننا أمام مباراة شعرية في التغني بحسن أحد شبان مالقة – ويدعى عبد المحسن – شارك فيها شاعرنا مع شعراء آخرين، وتألفت من مجموعة المقطوعات التي قيلت فيه «مقامة» من طراز خاص.

ولسنا نملك من النصوص ما يساعد على رسم صورة حية للرجل. ولكن القدر الضئيل الذي بين أيدينا قد يسمح باستخلاص بعض الملامح التي تبديه لنا إنسانًا دمث الخلق حلو المعشر ممتلئًا بالتجارب التي جعلته يقبل الحياة على علاّتها، فمن ذلك أنه يقول:

إذا ما الصديق نبا وده فلا يك ودك بالمنقلب
وعاتبه لكن رويدًا كما تعض على الطفل عند اللعب!

وفي شعره ما يدل على فقره وتعففه في آن واحد، على نحو ما تعبر مقطوعته:

وقائلة تقول وقد رأتني أقاسي الجدب في المرعى الخصيب
أما عطف الفقيه وأنت تشكو له شكوى العليل إلى الطبيب
وقد مر الثناء بمعطفيه كما مر النسيم على القضيب
فقلت عليّ شكر وامتداح وليس عليّ تقليب القلوب

وقد يعضه الإملاق بنابه، ويهوى به الحال إلى الدرك الأسفل من العوز، ولكنه يحاول جاهدًا أن يتعفف، ويؤثر أن يلجأ إلى الإعراب عن حاله من خلال ما أصاب فرسه من هزال:

سأستجدي صغيرًا من كبير وأرغب في حصاة من ثبير
وأقنع بالقليل النزر ممن يجود وليس يقنع بالكثير

ثم يردف:

ومن يرجو الملوك لكل أمر فلا يذر الحقير من الأمور

وهاهو جواده البائس:

أحس بوسق أبعرة رآها فأقبل يرتعي بعر البعير
ورام يسير من طرب إليها فقيدهُ الهزال عن المسير

ومع ذلك نراه في مقطعات أخرى يرى أن القيمة الحقيقية للإنسان في علمه لا ماله:

لا تغبط المجدب في علمه وإن رأيت الخصب في حاله
إن الذي ضيع من نفسه فوق الذي ثمّر من ماله

ونراه كذلك يذم البخل والبخلاء:

ألا مقت الله سعي الحريص فما جازه الذم إلاّ إليه
يسر بما في يدي غيره وينسى السرور بما في يديه

هذه بعض سمات شاعرنا ابن مجبر الذي رأيناه يترك مرسية بعد أن

زال عنها ملك ابن مردنيش، ويستقر في إشبيلية حاضرة الموحدين ويتألق نجمه في بلاط أبي يعقوب يوسف، ثم في بلاط الخليفة المنصور، حيث يصبح شاعر الدولة الأول، ونحن لا نجد عملاً للخليفة إلاّ ونرى له أثرًا في قصائد الشاعر، فمن ذلك هزيمة الموحدين في عمرة، ثم انتصارهم في قفصة على ابن غانية ومن آزروه.

فلدينا عنها نص من عشرين بيتًا أوله:

من لم يؤدبه تأديب الكتاب فما ... له بغير ذباب السيف تأديب

وقصيدة وصل منها واحد وعشرون بيتًا مطلعها:

عدوكم بخطوب الدهر مقصود ... وأمركم باتصال النصر موعود

وأيضًا قصيدته:

أسائلكم لمن جيش لهام ... طلائعه الملائكة الكرام

وتناول ابن مجبر معارك المنصور في الأندلس فسجل ذلك في قصائد منها قصيدته التي أولها:

بشراي هذا لواء قل ما عقدا ... إلاّ ومد له الروح الأمين يدا[1]

وقصيدته:

قلائد فتح كان يذخرها الدهر ... فلما أردت الغزو أبرزها النصر

ومقطوعته:

ركب إلى نار الجحيم مسيرهم ... وركابهم لا تستطيع مسيرًا

الحي منهم لا يرى مستوطنًا ... والميت منهم لا يرى مقبورًا

مما يزيد الأرض طيبًا أنها ... لفظت عداتك أبطنًا وقبورًا

وهي في بغية الملتمس، بتصدرها: «ولما صلب الجزيري ومن أخذ من أصحابه بحضرة إشبيلية، وعاينهم (ابن مجبر)، قد رفعوا في خشبهم أنشد»، وهو يشير هنا إلى أحد المتمردين على سلطان الموحدين ويدعى علي

---

[1] قيلت في مناسبة استرداد مدينة شلب من البرتغاليين، وعلى رأسهم ملكهم سانشو الأول (وليس ابن الرنق كما يذكر بعض الدارسين، فإن ابن الرنق توفي سنة ٥٨١هـ، بينما لم يتم استرجاع شلب إلاّ سنة ٥٨٧هـ).

الجزيري؛ ويقول ابن عذارى إن خبره وصل إلى المنصور وهو في إشبيلية (سنة ٥٨٦هـ)، وما جره ظهوره من:

«انتشار الأرجاف به ببر العدوة، وكان هذا اللعين في أوليته يتعلق بأذيال الطلب ويلهج منه بحفظ المتشابهات، وما يؤول منه إلى الروايات، فأمر الخليفة بطرده، فمشى ملفوظًا يتغرب ويتجول في الأقطار، ويسعى في الفساد بالتكتم والاستتار ويلتمس أبدًا جهالاً من العوام يحادثهم ويطابقهم ويلابسهم الخبيث وتنبعث عنه الأحاديث...»[1]، وطورد في المغرب ففر إلى الأندلس، وكان من إلقاء القبض عليه وصلبه هو وأصحابه ما كان...[2].

ولدينا، فضلاً عن ذلك، قصائد ومقطعات لابن مجبر يعسر تحديد مناسبتها، ولكنها مما قيل في مدح الخليفة المنصور؛ فمن ذلك قصيدة كثيرًا ما تتردد مقاطع منها في كتب الأدب والتاريخ، وهي التي تستهل بـ:

أتــراهُ يــترك الغــزلا وعليــه شــب واكتهــلا

وقد أثبتوا جل أو كل مقطعها الغزلي الافتتاحي الذي يفضي إلى مدح المنصور:

ثــم قــالت ســوف نتركهــا سـلبًا للحــب أو نفــلا
قلــت أمــا وهــي قــد علقــت بأمــير المؤمنــين فــلا
مــا عــدا تأميلهــا ملكًــا مــن رآه أدرك الأمــلا

ومن المعروف أن المنصور أول من تلقب بـ «أمير المؤمنين» من ملوك المغرب...

---

(1) البيان المغرب: قسم الموحدين، ص٢٠٧.

(2) قارن هذه الأبيات بقول أبي عباس الجراوي في المناسبة ذاتها:

جـد الجزيـري في إتـلاف مهجتـه حتـى تـورط في أحبولـة القـدر
نـار مـن الفتنـة العميـاء أطفأهـا سعد الإمام وحد الصـارم الذكـر
مـا زال إبليس في الأقطـار يوقظهـا وترتمي مـن شـرار الخلـق بالشـرر
زاد الشـقي علـى الخفـاش مشـبهه ضعف البصيرة إذ ساواه في البصـر
جـارى إلى سـقر أصحابـه فهـووا فيهـا سـراعًا ووافـاهم علـى الأثـر
إن الـذي اتخـذ الأهـواء آلهـة علـى الضـلال مصـر غـير مزدجـر
والوعـظ في النـاس مقبول ومطـرح كالخط في الماء أو كالنقش في الحجـر

وهناك مقطع من قصيدة ذات طرافة تتعلق بوصف المقصورة التي شيدت للمنصور في المسجد الكبير بالعاصمة مراكش، ووضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله، وعجز شعراء العصر عن وصفها إلاّ ابن مجبر الذي أنشد بين يدي المنصور قصيدته:

أعلمتني ألقي عصا التسيار ... في بلدة ليست بذات قرار

وتطرّق فيها إلى وصف حركات المقصورة، مما أثار إعجاب المنصور.[1]

ونعرض آخر ما نعرض لقصيدته التي أولها:

قضى حقوق الله في أعدائه ... ثم انثنى والنصر تحت لوائه

والتي يقول فيها:

بحرٌ طمي والبأس من أمواجه ... صبحٌ بدا والحق من أضوائه

وأباحه مهج العدا فكأنما ... قد نصلت أرماحه بقضائه

أغزى بهم جيشًا تضيق الأرض عن ... أفواجه والوهم عن إحصائه

كالعارض الثجاج ملء هوائه ... لكن دم الأبطال من أنوائه

ومن أبياتها:

لما رآى للشرك رسمًا مائلاً ... أوهى قواه وجد في إقوائه

أنحى عليهم بالصوارم والقنا ... حتى إذا لم يبق غير دمائه

أبقاه والذعر المخيف يبيده ... فكأنه سبع على أشلائه

مستأصلاً شيئًا فشيئًا أمرهم ... كر الزمان بصبحه ومسائه

وهي لا تأتي إلاّ في «رفع الحجب» للشريف الغرناطي، مصدرة بـ: «ولما كال على ملوك الروم البلاء، ورأوا ما نزل بهم من الاستئصال لجيوشهم وقواعدهم، واصلوا الرغبة في المهادنة وأذعنوا إلى السلم، فأجابهم المنصور إليه على شروط كثيرة اشترطها عليهم، وفي ذلك يقول شاعره أبو بكر بن مجبر.»[2]

---

[1] رفع الحجب: ج١ ص٧١-٧٢. ويقول المقري في نفح الطيب ج٣ ص٢٤١ «وقد بطلت حركات هذه المقصورة الآن، وبقيت آثارها حسبما شاهدته سنة عشر وألف، والله تعالى وارث الأرض ومن عليها.»

[2] رفع الحجب: ج٢ ص١٥٥.

ونحن لا نعلم بصورة يقينية المناسبة الـتي قيلت فيها هـذه القصيـدة، لكننا نرجّح أنها كتبت بعد استرداد المنصور مدينة شلب من أيـدي البرتغاليين، في الخامس والعشرين من جمادى الثانية سنة ٥٨٧هـ (٢٣ يوليو سنة ١١٩١م)، ثم رجع بعدها إلى إشبيلية ومنها إلى مراكش.

وأيا كان الأمر، فإنه من الخطأ[1] القول بـان هـذه القصيـدة قيلت عقب انتصار المنصور على جيوش قشتالة بزعامة الأذفونش (ألفونسو الثـامن)، وذلـك في معركة الأراكة (الأرك)، ذلك أن هذه المعركة جرت وقائعها - كما قلنا قبلا - في سنة ٥٩١هـ، والمسلّم به أن ابن مجبر لم يكن حيًا في هذا التاريخ.

وقد مرّ في ثنايا الحديث عن ابن مجبر ذكر للشاعر الجراوي في أكثر من موضع، ذلك أن حياة الرجلين كثيرًا ما تشابكت، بل إن هـذا التشـابك امتد إلى الشعر، فمن ذلك تلك القصيدة التي تبدأ بـ:

عدوكم بخطوب الدهر مقصود   وأمركم باتصال النصر موعود

فهي في «البيان المغرب» مؤكدة النسبة لابن مجبر؛ أمّا في الروض المعطار فيسبقها: «وقال هو - أي ابن مجبر - أو الجراوي»، والخبر نفسه في «الحلل السندسية» للوزير ابن السراج، ولكنه يضيف بشأن القصيدة السابقة: «وثبتت القصيدة في ديوان الجراوي»؛ وهذا يبدو غريبًا لأنه يخالف ما جاء في البيان المغرب، وأمّا التجاني فإنه جعلها مذبذبة النسبة بين الرجلين.

وقد مرّ أيضًا موقف انتصر فيه المنصور - وكان وقتها وليًا للعهد - لابن مجبر علي الجراوي، وفي «رفع الحجب» أن الخليفة المنصور استمع للشعراء - ومنهم ابن مجبر - في مناسبة إعداد المقصورة المتحركة، فلما انتهى ابن مجبر من إلقاء قصيدته «طرب المنصور لسماعها، وارتاح لاختراعها والتفت إلى الجراوي، وكان يعلم قلة تسليمه لأبي بكر، وكثرة غضبه منه، فقال: سلم يا أحمد! ثم أنشده:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع!

---

[1] د. حكمت الأوسى: الأدب الأندلسي في عصر الموحدين، ص١٢٥؛ ووقع شفيق محمد الرقب: شعر الجهاد في عصر الموحدين، ص١٩٥ في نفس الخطأ الذي وقع فيه د. الأوسى.

قال أبو عبد الله: «فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه أن لم يكن أول منشد حتى يخفوا أشعارهم بعده، ويخفوا عوارهم.»[1]

نهاية المطاف

ليس هناك كبير خلاف على تاريخ وفاة ابن مجبر، فقد نص الضبي في «بغية الملتمس»[2]، والذهبي في «العبر»[3]، وابن شاكر في «الفوات»[4]، على أنه مات سنة ٥٨٨هـ، أمّا ابن خلكان[5]، فقال إن وفاته كانت سنة ٥٨٧هـ، وبعض مصادر مثل - التكملة - قدمت التاريخين معًا: «توفي بمراكش ليلة الأضحى سنة ٥٨٨هـ، كهلاً، وقيل توفي سنة سبع وثمانين»[6]، وهذا أيضًا ما يأتي في «سير أعلام النبلاء»[7].

والخلاصة أن حياة الشاعر تتحدد ما بين سنة ٥٣٥ وسنة ٥٨٨هـ، ذلك أن لسان الدين بن الخطيب والصفدي نصا صراحة على أنه مات وهو ابن «سنة ثلاث وخمسين سنة»[8].

* * *

هذه صورة موجزة عن هذا الشاعر الأندلسي الذي طالما أشادت به المصادر القديمة، والذي خفي أمره - أو كاد - عن المعاصرين بسبب ضياع ديوانه وتبدد معظم شعره، وهو - ولا شك - جدير بأن ينظر إلى أدبه

---

(1) رفع الحجب: ج١ ص٧١-٧٢.
(2) الضبي: بغية الملتمس، ص٥٠٨، ترجمة رقم ٤٩٤.
(3) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٤ ص٢٦٧.
(4) ابن شاكر، فوات الوفيات: ج٤ ص٢٧٥؛ وانظر كذلك شذرات الذهب، ج٤ ص٢٩٥.
(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان: ج٧ ص١٣.
(6) ابن الأبار، التكملة: ج٣ ص١٣٢، ووافقه حاجي خليفة في كشف الظنون، عمود ٧٦٨.
(7) الذهبي، سير أعلام النبلاء: ج٢١ ص٢١٥.
(8) لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة: ج٤ ص٤٢١.
وأشار محققا الجزء الحادي والعشرين من سير أعلام النبلاء إلى أن قول ابن الأبار: عن «وفاته كهلاً: فيه نظر»، لأنهما اعتبرا «كهلاً» بمعنى: شيخا: وهذا وهم، فالكهولة لا تعني الشيخوخة، بل سن النضج، كذلك فإن شكيب أرسلان في الحلل السندسية يقول إنه توفي سنة ٥٨٨هـ، «وقيل قبلها» على الإطلاق، وفي هذا ما قد يوقع في اللبس.
راجع الصفدي: الوافي بالوفيات، ترجمة ابن مجبر.

نظرة الإعجاب والتقدير. وبحسبنا أن نذكر مرة أخرى بعبارة الخليفة المنصور بشأن ابن حزم وابن مجبر، وكيف اعتبر فيها كل أهل العلم عيال على ابن حزم، كما أن الشعراء عيال على ابن مجبر. وتزداد هذه المقولة قيمة عندما نعرف أن المنصور كان من أشد المتحمسين للمذهب الظاهري - الذي أرسى ابن حزم قواعده - وكان يعمل على نشره ليقضي به على نفوذ المذهب المالكي في المغرب والأندلس، وكأنه رأى أن شأن ابن مجبر بين الشعراء نظير شأن ابن حزم بين أهل العلم.

وللضبي في بغية الملتمس جملة تقول عن ابن مجبر:

«أديب شاعر متقدم في طريقة الشعر، برع فيها وفاق أهل زمانه.»

ويقول ابن الأبار في «التكملة»:

«وكان في وقته شاعر الأندلس، بل شاعر المغرب غير مدافع ولا منازع... ولم يكن يجري أحد مجراه، من فحول الشعراء في وقته، يعترف له بذلك الأكابر من أهل الأدب وتشهد له بقوة شعره وسلامة طبعه قصائده التي سارت أمثالاً، وبعدت على قربها منالاً.»

وهناك اتفاق على أنه كان «شاعر الأندلس» في عصره، على نحو ما يؤكد ابن خلكان ومن نقل عنه مثل ابن شاكر والذهبي وابن العماد الحنبلي.

أمّا ابن سعيد في رايات المبرزين فإنه يلقبه بـ «بحتري الأندلس»، وأما لسان الدين بن الخطيب فإنه ينوه به أيما تنويه، وينقل عن ابن الأبار وغيره عبارات المديح التي صاغوها في ابن مجبر، وكذلك فعل المقري في نفح الطيب، وقد عد ابن مجبر مما ينبغي أن يباهي به أهل المغرب أهل المشرق.

واستشهد الحميري صاحب «الروض المعطار» في مواضع عدة بشعر ابن مجبر، مثلما فعل في مادة شلب، وقفصة وحمة مطماطة وشقورة وميورقة... الخ؛ وكان كثيرًا ما يسبغ نعوت «وله في ذلك القصيدة المشهورة» أو «وله في ذكر ذلك قصيدة مليحة جدًا» أو «وله في ذلك قصيدة غراء»... الخ.

ونستطيع، في ضوء هذه الرحلة عبر القرن السادس الهجري وعبر حياة وأعمال يحيى بن مجبر، أن نطمئن إلى أننا أمام شاعرية ناضجة، تتسم بالطبع والقدرة على تشخيص المواقف ورسم الانفعالات، وترتكز على نسيج شعري سهل استطاع أن ينفذ إلى نفوس الناس في عصره، فاستحوذ على إعجابهم، وبذا فإن القيمة الفنية لهذا الشعر تتجاوز القيمة التاريخية «الوثائقية»، وتدفع إلى ضرورة جمع وتحقيق ما سلم منه...[1]

---

[1] تنحصر الإشارة إلى ابن مجبر في عدد محدود من الدراسات الأندلسية الحديثة، فقد عرض له شكيب أرسلان بإيجاز شديد في الحلل السندسية، ج٣ ص٤٩٨. كما ذكره ابن سودة في دليل المؤرخ المغربي، ص٤٣٠؛ وعبد الله كنون في النبوغ المغربي وخير الدين الزركلي في الأعلام، ج٨ ص١٥٢؛ وعمر رضا كحالة في معجم المؤلفين، ج١٣ ص٢٠٤؛ وعمر فروخ في تاريخ الأدب العربي، ج٥ ص٤٨٦-٤٩٠؛ ومحمد عبد الله عنان في عصر المرابطين والموحدين، ج٢؛ ود. حكمت الأوسى في الشعر في عصر الموحدين، ص١١٠، ص١٢٥؛ ود. فوزي عيسى في الشعر في عصر الموحدين، ص١١٢-١١٥.
وأمّا المستشرقون فنشير من بينهم إلى نيكل في كتابه عن الشعر الأندلسي ص١٨٧-١٨٨، وفي مختارات من الشعر الأندلسي ص١٩٧-١٩٩؛ وأيضًا هنري بيريس في الشعر الأندلسي في القرن الثاني عشر.

(٢)
لمحة عن شعر ابن مجبر
الموضوع والفن

الموضوعات الذاتية

لا شك أن حكمنا على ابن مجبر لن يكون إلاّ حكمًا جزئيًا، ينبع من أن النصوص التي بين أيدينا قليلة للغاية، بالقياس للكثير الذي ضاع، وفي ظل هذا الفهم فإننا سنجوس في الحديث عن شعر ابن مجبر بشيء كبير من الحذر... وفي هذا القدر يحتل الغزل مكانة لا بأس بها، وكثير من نصوصه جياشة بصدق الإحساس، حتى في الحالات التي جاءت فيها المقاطع الغزلية بمثابة التوطئة للمديح، مثل قوله:

دعا الشوق قلبي والركائب والركبا   فلبوا جميعًا وهو أول من لبا
وظلنا نشاوى للذي بقلوبنا   تخال الهوى كأسًا ويحسبنا شربا
إذا القضب هزتها الرياح تذكروا   قدود الحسان البيض فاعتنقوا القضبا

ومنها:

يقولون داو القلب تسل عن الهوى   فقلت لنعم الرأي لو أن لي قلبا

أو يقول:

يا رشأ السدر ولو أنني   أنصفت ناديت رشا الصدر
يا قاسي القلب ألا عطفة   تثني إليها رقة الخصر
ملء فؤادي زفرة تلتظي   وملء عيني عبرة تجري

فإذا تركنا الغزل وجدنا ابن مجبر يبدع في التعبير عن ذاته خاصة في قصيدته:

سأستجدي صغيرًا من كبير   وأرغب في حصاة من ثبير

الموضوعات العامة

تبرز، في مقابل الملمح الذاتي، تلك الموضوعات العامة التي جعلت من الشاعر العربي في معظم الأحوال بمثابة المدبج لنشرة رسمية تتغنى ببطولات الممدوح، وتقدم مبررات لكل ما يبدر منه من سلوك، وسنترك الآن كل ما قيل عن دوافع المديح وتجسيد الممدوح للمثل العليا وما أشبه، لنقول إن شعر ابن مجبر، في مجموعه، شعر «غيري» كرسه لأمراء وملوك عصره، وبخاصة للمنصور ابن يوسف بن عبد المؤمن الذي يقول فيه:

قلائد فتح كان يذخرها الدهر ... فلما أردت الغزو أبرزها النصر
فها هي مذ جدت ركابك تنبري ... سراعًا فمن أفراحها الشفع والوتر
فدونكها منسوقة فلشد ما ... تسابق فيها نحوك البر والبحر
هو الفتح يا مولاي ما فيه مرية ... ولا لليالي في تعذّره عذر

وهذا الشعر يذكر من بعض الوجوه بالمبدعين من شعراء المشرق في فن المديح، من أمثال أبي تمام والمتنبي أو بالمجيدين في هذا المضمار من شعراء الأندلس، من أمثال ابن دراج القسطلي، وربما صح القول بأن البيت الأول هنا هو أول القصيدة، لا لأنه مصرع فحسب، بل لأنه يمثل كذلك نقطة انطلاق متألقة لمدحه تستلهم التقاليد الفنية المتوارثة.

ومن هذا النمط العالي قوله:

بشراي هذا لواء قل ما عقدا ... إلاّ ومد له الروح الأمين يدا
وأقبل النصر لا يعدو مناحيه ... فحيث ما قصدت راياته قصدا
واستقبلته تباشير الفتوح فقد ... كادت تكون على أكتافه لبدا
وقرب الفلك الدوار بغيته ... فلو تناول بعض الشهب ما بعدا
إمام جيش أراد الله نصرته ... فأرسل الملأ الأعلى له مددا
إني لأحكم بالنصر العزيز له ... وإن سكت فإن الوحي قد شهدا

ونظن أن هذه الأبيات بداية قصيدة مدحية لم يشأ ابن مجبر - وحسنًا فعل - أن يبدد شيئًا منها في افتتاحيات لا طائل من ورائها في موقف لا يتطلب تمهيدًا بالغزل أو نحوه، ويشبه ذلك قوله:

أسائلكم لمن جيش لهام ... طلائعه الملائكة الكرام
أتت كتب البشائر فيه تترى ... كما يتحمل الزهر الكمام
تنم ولم تفض ولا عجيب ... أيحجب نفحة البدر الختام
كأن النصر أضحكها ثغورًا ... فللأيام عنهن ابتسام

وقد أحسن ابن مجبر استغلال العنصر الديني في هذه القصيدة، حتى أترعت الأبيات بالإشارات للملائكة الكرام ولكتاب الله والبيت الحرام والمسجد الأقصى... الخ.

وإذا كان ابن مجبر قد أعطى للمديح هذا القدر الموفور من الاهتمام. فإن براعته في الوصف لا تقل عن براعته في المديح، وقد نظلم الشاعر حين ندرج الوصف تحت تصنيف الموضوعات «الغيرية».

وإنما هو تصنيف عام (ومن المؤكد أن في كل الفنون الغيرية قدرًا ما من الذاتية)، ينبع من أن العناية في الوصف عنده ترتكز على اللوحات الخارجية، وقليلاً ما تتغلغل إلى الوجدان.

ولعل من أبرز النصوص المعبرة عن منزع ابن مجبر في الوصف، قوله في تلك المقصورة العجيبة التي صنعت للمنصور وفقًا لحركات هندسية، تجعلها تهبط مستقرة عند استقراره بالمسجد، وترتفع لانصرافه عنه. ويذكرون في ذلك أن الشعراء تباروا في المدح، مهنئين بذلك الاختراع البارع دون أن يتطرق واحد منهم إلى وصفه، حتى قام ابن مجبر فألقى مدحته التي أولها:

أعلمتني ألقي عصا التسيار ... في بلدة ليست بذات قرار

وفيها في وصف المقصورة:

طورًا تكون بما حوته محيطة ... فكأنها سور من الأسوار
وتكون طورًا عنهم مخبوءةً ... فكأنها سرٌّ من الأسرار
وكأنها علِمت مقادير الهوى ... فتصرفت لهم على مقدار
فإذا أحست بالإمام يزورها ... في قومه قامت إلى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفي بعده ... كتكُون الهالات للأقمار

فكان أن استحوذ على الإعجاب لتفرده بوصف المقصورة على هذه الصورة، التي قد لا تعجب المحدثين كثيرًا، لأنها وصف خارجي بحت، ولولا الصور المتتابعة فيه لكان الموضوع من جنس ما يتطرق إليه (النظم)، ومع ذلك فإن هناك عنصرًا مهمًا هنا، هو الحركة، فلم يتوقف ابن مجبر عند جزئيات المقصورة ليرسم لها صورًا مرئية، وإنما نجح في أن يجعل هذه الصور مترابطة فيما يشبه (السيناريو).

ولابن مجبر أبيات في وصف الخيل جديرة بأن تدرج ضمن غرر الشعر العربي الوصفي، منها:

له حلبة الخيل العتاق كأنها	نشاوى تهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى	فلم تبغ خلخالاً ولا التمست وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب أنه	وإن جردوه في ملاءته التفا
وأبلق أعطى الليل نصف إهابه	وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشي جلده شفق الدجى	فإذ حازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مجّ الراح صرفًا أديمه	وأصفر لم يمسح بها جلده صرفًا
وأشهب فضي الأديم مدنر	عليه خطوط غير مفهومة حرفا
كما خطط الزاهي بمهرق كاتب	فجر عليه ذيله وهو ماجفا
ترى كل طرف كالغزال فتمتري	أظبيًا ترى تحت العجاجة أم طرفا

إننا هنا أمام سلسلة متتابعة من الصور التي يمكن لمعظمها أن يستقل عن غيره (اليقق - الورد - الأشقر - الأشهب)، ولكن هناك وحدة ما تصنع من الأبيات لوحة (كلاسيكية) جمعت كل أشكال الخيول، ورسم كل لون منها بحيث يكون الشعر «لوحة ناطقة»، وعلى الرغم من تتبع الشاعر لكل لون على حدة فإن هناك مدخلاً وخاتمة للوصف، يتمثل ذلك في صور كلية لهذه الخيول وهي تتهادى منتشية وكأنها «تطلب العزف والقصفا» وهي جميعًا أشبه بـ «عرائس أغنتها الحجول على الحلي»، حتى إذا ما انتهى الوصف الجزئي كانت اللوحة الختامية التي تعكس اندفاع هذه الخيول في عدوها المحموم، وهي تنثر حولها الغبار فلا يعرف الإنسان على

وجه اليقين أهي خيول تعدو أم ظباء تولي الأدبار وسط العجاج...

ونشير كذلك إلى مقطوعته في وصف صنوبرة، وإلى صورة لزجاجة خمر سوداء قيل إنه صنعها ارتجالاً، وإلى لوحة لفارس يعبر الحقول وهو يحمل راية بيضاء:

تدل عليه إذ يخفي ويبدو كخيط الفجر دل على الصباح

وأما التصوير بمعناه العام فإنه سمة أساسية عنده، كما أنه سمة أساسية في كل شعر جيد، ولكن تختلف منازع الشعراء في تكييف الصورة بحسب طاقاتهم واتجاهاتهم، والصورة عند ابن مجبر تتميز عادة بأنها لا تأتي مجرد تشبيه شيء بشيء آخر، وإنما تفتش عن لوحة تحمل الإيحاء الذي يجد هذا التناظر بين طرفي التشبيه؛ فهو مثلاً ينصح بألا تبادر صديقك بالتحول عنه إذا ما لمست منه نبوًا:

وعاتبه لكن رويدًا كما تعض على الطفل عند اللعب

وهو يشبه الممدوح في بأسه وصدق سريرته بأنه:

بحر طمي والبأس من أمواجه صبح بدا والحق من أضوائه

ويصوره في انقضاضه على عدوه وما أشاعه فيه من ذعر وهلع بـ:

فكأنه سبع على أشلائه

ومثل هذا كثير عند ابن مجبر، وفي كل قصيدة له لآلئ نفيسة من هذا الطراز.

سمات فنية عامة

من المرجح أن القارئ للصفحات السابقة قد كوّن فكرة ما، ولو مجملة، عن الطابع الفني الذي يسيطر على النتاج الشعري لابن مجبر، وتعرّف في الوقت ذاته على العامل الجوهري الذي يحول دون الوصول إلى رؤية واضحة حوله، في ظل غياب الديوان، وضياع معظم القصائد.

على أنه من الممكن استخلاص مجموعة من السمات الفنية العامة عنده، ونبدأ بمقطوعة له تقول:

سأشكو إلى الندمان خمر زجاجة | تردت بثوب حالك اللون أسحم
نصب بها شمس المدامة بيننا | فتغرب في جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها | كقلب حسود جاحد يد منعم

ولهذه الأبيات حكاية تقول إن ابن مجبر قالها ارتجالاً في جلسة كان نديمه فيها إنسانًا جاحدًا لما فعله بازائه من الخير، وأمامهما زجاجة سوداء بها خمر، فطلب منه ذلك الإنسان الحاقد أن يصف ما أمامهما في الحال، فارتجل ابن مجبر هذه المقطوعة.

ومن يتتبع ما سلم من شعر ابن مجبر يجد عدة مقطوعات من هذا الطراز، وهذا في حد ذاته أمر يستحق التنويه لأنه يكشف عن حدة الشاعرية وتوهج الذهن وعظم الدربة بأصول الشعر، لكن الغالب على الشعر المرتجل أن صاحبه يحرص فيه على إقامة الوزن والقافية، ويأتي هذا على حساب الصور وأناقة التعبير ودقته، في حين أن ابن مجبر راعى أن تتضمن الشطرة الثانية من كل بيت صورة فيها حركة تجسّم المعنى وتضفي عليه تلك الرشاقة المحببة بما تصخب به من ألوان وحيوية، وإذا ما صح أن المقطوعة قيلت ارتجالاً فإنها تكشف عن مقدرة عجيبة على السخرية المقنعة، المتمثلة في الشطرة الأخيرة، بما تتضمنه من تعريض بهذا النديم الخبيث الطوية.

وله مثال آخر يقول فيه:

رحل الشباب وما سمعت بعبرة | تجري لمثل فراق ذاك الراحل
قد كنت أزهى بالشباب و لم أخل | أن الشبيبة كالخضاب الناصل
ظل ضفًا لي ثم زال بسرعة | يا ويح مغتر بظل زائل
إن شئت ظلاً لا يزول بحالة | فاعمد إليه ذي الإمام العادل

ولسنا نعلم عن كانت هذه الأبيات مقطوعة قائمة بذاتها أم مستلة من قصيدة في المديح، وإن كنا نرجّح الرأي الأخير، وهي على كل حال ذات بداية محورها رحيل الشباب الذي كان يزهى به، و لم يتكشف له إنه «كالخضاب الناصل»، أي أنه زائل لا محالة - إلاّ متاخرًا، ثم يأتي التعريج

على الممدوح ذي الظل الذي لا يزول ولذا فإن الحديث عن الشباب الراحل له غرض يتعلق بفن المديح، ولكن الربط بين «المقدمة» وموضوع القصيدة جاء مقنعًا إلى حدٍ ما، لقد بكى على الشباب الراحل، واكتشف مقدارما كان يسبح فيه من وهم عندما ظن أنه لا يزول، وإذا بأمره لا يزيد عن مجرد خضاب سرعان ما يحول... وما أسهل أن نقول بأن الفكرة عادية، نعم إنها عادية ومألوفة شانها شأن مئات الأشياء التي نطالعها ولا نرى فيها جديدًا، ولكن من أوجه البراعة أن نقرأ للشاعر أبياتًا نحس بأنها عبّرت عما نحسه وما نسلم به، وليس عليه بالضرورة أن يبتكر من المعاني ما يبهرنا أو يرينا إلى أي حد كنا بعيدين عن إدراك ما يقول.

والحق أن نسيج المعاني عند ابن مجبر ليّن الملمس، مألوف الألوان، ولا نظن أنه زعم لنفسه أو للناس أن لديه شيئًا عجيبًا يريد أن يقوله، والمهم عنده أن يرسم الأفكار البسيطة في صور وألفاظ وتراكيب تتفق وطبيعة هذه الأفكار، وأن يشكّل ذلك في صياغة تنسب له وتقترن به.

أمّا القصائد فإن لدينا منها عددًا ضئيلاً يتسم بكيان متماسك بمعنى أنه لم تسقط منه مقاطع كثيرة، بحيث يفقد النص وحدته، ومنها قوله:

بعلاكم وهو حسب المطنب ... عرف المشرق فضل المغرب

ونص آخر أوله:

من لم يؤدبه تأديب الكتاب فما ... له بغير ذباب السيف تأديب

وثالث مستهله:

ثاب العزاء وحان الأخذ بالثار ... قد عاد في غابه الضرغامة الضاري

وأيضًا:

سأستجدي صغيرًا من كبير ... وأرغب في حصاة من ثبير

وأطول النصوص التي وصلت، مستهلها:

أتراه يترك الغزلا ... وعليه شب واكتهلا

وأصلها يقع في مائة بيت وسبعة (بحسب قول ابن خلكان)، أمّا ما سلم منها فهو دون الثلث.

وهناك قصيدة أولها:

أســائلكم لمــن جيـــش لهــام | طلائعـــه الملائكـــة الكـــرام

وآخر[1] ما نشير إليه من قصائد واحدة مطلعها:

عدوكـم بخطـوب الدهـر مقصــود | وأمركـم باتصـال النصـر موعــود

ومن السهل أن يلحظ الإنسان عدم لجـوء الشـاعر للمقدمـات إلاّ في أحوال قليلة، ومن بين ما ذكرنا قصيدة واحدة في غـير المـدح (ثـاب العـزاء وحان الأخذ بالثار)، تبدو وقـد احتدمـت المشـاعر، وبلغـت النفـوس ذروة التوتر، وهي بداية جيدة تتناسب وموضوع القصيدة.

ونكتفي بالتعليق على الدالية التي ذكرناها منــذ قليـل، وهـي – شـأن معظم قصائد ابن مجبر – في مدح المنصور تهنـؤه وقـد انتصـر علـى أعدائـه، واستولى على مدينة قابس، وبذا تهيأ للشاعر موضوع بطـولي، فقـد سـحق العدو، و لم يكن من سبيل أمامه إلاّ الفرار:

ألقـى السـلاح وولى يبتغـي أمــدا | ينجيه وهو مــروع القلـب مفـؤود

مـا مـرّ يومًــا ببــاب ظنـــه ســببًا | إلى التخلــص إلاّ وهــو مســـدود

وأما رجاله فقد:

ولوا فلا صاحب عن نفس صاحبه | يغــني ولا والــد يرجــوه مولـــود

على أن الشاعر لا يكتفي بالمقابلة بين موقفــي: النصـر (للممـدوح)، والهزيمة الساحقة (للخصم)؛ وإنما يدعـم ذلـك بـإبراز الجـانب الديـني، فهنـا نصر للحق على الباطل، ومناقب شتى من تقى وصلاح وسند من الشرع في مقابل المروق وعصيان كلمة الله:

من ليس معتقـدًا إيجاب طـاعتكم | فليـــس يغنيـــه إيمــان وتوحيـــد

رضـاكم الديـن والدنيـا وعَدْلكـــم | ظـل ظليـــل علـى الأيـام ممــدود

والتفصيلات التي تعضد هـذه الرؤيـة مـن الكـثرة بمكـان، فـالممدوح

---

[1] لم نذكر هنا قصيدته التي أولها:

قلائـد فتـح كـان يذخرهـا الدهـر | فلمـا أردت الغـزو أبرزهـا النصـر

لأن أبياتها غير متتابعة، وما لدينا منها (١٣) بيتا تكون أربع مقطوعات متناثرة.

(سليمان في الملك العظيم وفي طول التهجد داوود)، وهذا النصر (قد أبهج الدين والدنيا)، لأنه نصر (عند الله محمود)، أمّا العدو فإنه (عن طريق الحق مطرود)، وهو (أعمى ونور الهدى باد)، وفي صنيع هؤلاء الأعداء ما يذكر بأهل الشرك ممن حاق بهم الهلاك:

لجت ثمود وعاد في ضلالهم ... ولم يدع صالح نصحًا ولا هود

وهذا النهج يتفق وأسلوب «القصيدة - الخطبة»، إن صح التعبير، أي القصيدة التي ترمي إلى إطراب الأسماع في المقام الأول، ولكن هذا قد يأتي على حساب الفن، أمّا ابن مجبر فإنه يوازن بين إثارة نشوة الطرب وسبك النص في صياغة تُظهِر مدى براعته و طول تمرسه. انظر مثلاً إلى قوله:

لم يصغ للوعظ لا قلبًا ولا أذنًا ... وكيف تصغي إلى الوعظ الجلاميد

تجد أن هذا التحديد: لا قلباً ولا أذنًا، ثم السؤال الاستنكاري وسائل فنية اتكأ عليها الشعر فبعثت الحيوية في بيت كان من الممكن ألا يخلف أثْرًا يذكر لو صيغ صياغة تقريرية، واقرأ أيضًا هذا البيت:

أضحت على فضله الأيام تحسده ... إن النبيه الرفيع القدر محسود

تجد البراعة في الانتقال من الخاص - الممدوح - إلى المطلق: كل إنسان أوتي الذكاء والرفعة، ومثل هذه الوسائل الفنية كثير في شعر ابن مجبر.

أمّا «الصنعة» بمفهومها الشائع، أي بمعنى التشكيل البديعي، فإنها قليلة عنده، وهو لا يلجأ إليها إلاّ لغاية جمالية؛ وفي القصيدة السابقة نصادف عددًا منها مثل:

الشقاء / السعادة	(في البيت الثاني)
لا قلبًا / ولا أذنًا	(في البيت الخامس)
وريده / مورود	(في البيت الثامن)
ما مر يومًا بباب ظنه سببًا	
إلى التخلص / مسدود	(في البيت الثاني عشر)
وهبه عاش / أليس الموت	

في قطع خضرائهم / أحداثه السود (في البيت الثالث عشر)

رضاكم الدين / والدنيا (في البيت الرابع والعشرون)

وليس في كل الأمثلة السابقة، على كثرتها، أثر للتكلف، لأن طبيعة التجربة تقوم على المقابلة بين حالتين متناقضتين: من نصر لإمام عادل يحكم باسم الشرع، وهزيمة لعدو آبق آثر الضلالة على الهدى.

وقد أشرنا إلى كثرة المعاني الدينية، وما لها من أثر في إشاعة الحمية؛ وفي القصيدة السابقة لجأ الشاعر أحيانًا إلى الاقتباس مباشرة من القرآن الكريم، كما في قوله:

ولوا فلا صاحب عن نفس صاحبه يغني ولا والد يرجوه مولود

والذي جاء إليه من الآيات: «يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه»[1].

ولا تكاد تصادف في هذه القصيدة، بل ولا في كل شعر ابن مجبر، ألفاظًا غريبة أو غامضة أو غير صحيحة من حيث اللغة، فالرجل بطبيعته يؤثر الوضوح واليسر، ويلجأ للأسلوب الطيّع السلس الرشيق، بل لا يرى بأسًا في أن يستعمل الجمل العادية المتداولة ضمن تعبيره الشعري، فها هي الزوجة - الحبيبة - تسأله:

أما عطف الفقيه وأنت تشكو له شكوى العليل إلى الطبيب

وهو يستهل مدحة له بقوله:

من لم يؤدبه تأديب الكتاب فما له بغير ذباب السيف تأديب

إن الخلافة لا تشكو بمعضلة والحافظ الله والمنصور يعقوب

ويقول في قطعة رثائية:

---

[1] سورة عبس، (٨٠ الآيات ٣٤، ٣٥، ٣٦).

ومن نماذجه الأخرى قوله:

قد حصحص الحق إن النصر يتبعه فكان من أنفس الكفار تكذيب

مأخوذ من قوله عز وجلّ: «قالت امرأة العزيز: الآن حصحص الحق.» سورة يوسف، آية ٥١.

ويقول الشاعر:

لجت ثمود وعاد في ضلالهم ولم يدع صالح نصحًا ولا هود

وغير هذا كثير.

قيـل لي أودي سـعيد بـن عيسـى ... يرحـم الله ابـن عيسـى سـعيدا
أكلتـه الحـرب شـيخًا كبـيرًا ... وقديمًـا قـد أرضتـه وليـدا

ومن المسلّم به أن المعاني هنا قريبة الغور، وأن الصياغة جاءت موائمة لها، أي أنها تخلو من الجزالة والصقل، ولكنها على كل حال صياغة عذبة رشيقة، تعتمد في تأثيرها على مجموع القصيدة لا على جزئياتها. بمعنى أن استحساننا لشعر ابن مجبر لا يقوم على الإعجاب بما كتب بيتًا بعد بيت، بل من خلال القصيدة أو المقطوعة بكل مكوناتها من حيث الموضوع واللغة والصور والموسيقى.

ابن مجبر وفن التوشيح

لسنا نعرف مصدرًا واحدًا تحدث عن علاقة ما لابن مجبر بفن التوشيح ولا نعثر على نص واحد منها منسوب له في عشرات المجاميع المطبوعة التي تتناول هذا الفن، مثل دار الطراز[1]، وتوشيع التوشيح، وعقود اللآل في الموشحات والأزجال، والعذارى المائسات في الأزجال والموشحات[2]، كما لا نجد له ذكرًا في كل المجموعات الحديثة - مثل مجموعة يافيل[3]، وديوان الموشحات الأندلسية الذي صنعه د. سيد غازي والمستدرك عليه[4]، ومجموعة يلس وأمقران... الخ. فضلاً عن الدراسات الحديثة حول هذا الفن.

ولا نجد إلاّ تعليلاً واحدًا لهذا الغياب، وهو أن ديوان ابن مجبر في عداد الكتب الضائعة في الوقت الحاضر، وإن كنا لسنا على ثقة من أن ديوانه كان يضم موشحاته، لأن غالبية الشعراء الوشاحين كانوا لا يثبتون موشحاتهم في دواوينهم، على اعتبار أنها نمط خاص، يأتي قريبًا من مدونات الغناء والموسيقى لا الشعر الفصيح، كما أن كثيرًا من مؤرخي الأدب «مثل ابن بسام في الذخيرة، والفتح ابن خاقان في قلائد العقيان، ومطمح الأنفس وصفوان بن إدريس في زاد المسافر، لم يذكروا شيئًا قط عن الموشحات، إذ أن «العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلدة» على حد قول عبد الواحد المراكشي صاحب «المعجب».

وقد قادنا البحث في المجموعات المخطوطة للموشحات إلى الكشف

---

[1] طبعة د. جودت الركابي؛ وانظر دراسة حوله في كتابنا: دراسات في الشعر الأندلسي والوسيط؛ وأيضًا كتابنا: الموشحات الأندلسية؛ ومدخل لدراسة الموشحات والأزجال.

[2] طبع هذا الكتاب في أوائل هذا القرن ونشرنا منه طبعة محققة.

[3] راجع كتابنا: دراسات في الأدب الأندلسي والوسيط.

[4] جمعنا وتحقيقنا، وظهرت منه طبعتان، ونعد طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة.

عن نص واحد لابن مجبر، سوف نرى أنه من الجـودة بمكـان ممـا يـدل علـى تمكنه، فأين ذهبت موشحاته الأخرى؟

والمجال لا يتسع للإسهاب في الحديث عن الخلفية العامة للموشحات، لأن لها، وقبل عصر ابن مجبر، تاريخًا حافلاً، بدأ مع أخريـات القـرن الثـالث الهجري على يد شعراء مثل مقدم بن معافي القبري ومحمد بن محمود القـبري الضرير (وكلاهما ينتمي إلى قبرة: قرية قرب قرطبة)، وجاء بعدهما ابن عبد ربه.

ثم يظهر الجيل الثاني والذي تكشف عنه عبارة ابن بسام: «ثـم نشـأ يوسف ابن هـارون الرمـادي، فكـان أول مـن أكـثر فيهـا مـن التضمـين في المراكيز، بضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة، فاستمر على ذلـك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثم نشأ عبادة»[1].

وعبادة الذي يتكلم عنه ابن بسام هـو عبـادة بـن مـاء السـماء، وقـد اعتبره واضع أسس التوشيح أو بحسب عبارته:

«وكان أبو بكـر – عبـادة – في ذلـك العصـر شيخ الصناعـة وإمـام الجماعـة، ... وكـانت صنعـة التوشـيح الـتي نهـج أهـل الأندلـس طريقتهـا ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود ولا منظومة العقـود، فأقـام عبـادة هـذا منآدهـا، وقـوم ميلهـا وسنادها فكأنهـا لم تسـمع إلاّ منـه ولا أُخِـذَتْ إلاّ عنه»[2].

ويظهر بعده ابن عبادة القزاز الذي يصفه ابن فضل الله العمـري بأنـه «صاحب الموشـحات... والروائـع الـتي لا عيـب في درهـا إلاّ أنـه لم يذخـر بالخزن»[3]، وابن ارفع رأسه – مـن شـعراء عصـر ملـوك الطوائـف – وابـن اللبانة الداني.

ونصل إلى جيل آخر ينبـغ في القـرن السـادس الهجـري، ويجعـل مـن

---

[1] الذخيرة: القسم الأول، ج٢.

[2] المصدر نفسه.

[3] مسالك الأبصار: مخطوطة باريس، ورقة ١٣١.

الموشحات فنًا محببًا، تترنم بألحانه قلوب الناس في الأندلس، وتمتد أصداؤه إلى المغرب، ثم إلى مصر وبقية العالم الإسلامي؛ ومن أشهر وشاحي هذه الفترة الأعمى التطيلي (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي). ويأتي عنه في «المقتطف من أزاهر الطرف»:

«ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملثمين، فظهرت لهم البدائع، وفرسًا رهان حلبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بن بقي. سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس بإشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فقدموا الأعمى للإنشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضاحك عن جمان　　سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان　　وحواه صدري

خرق ابن بقي موشحته وتبعه الباقون»[1].

وينتمي ابن مجبر إلى تلك المرحلة التي كانت لا تزال فيها موشحات الأعمى التطيلي على كل لسان (وسنشير إلى دليل على إعجابه بموشحات التطيلي)، وقد أشرنا في أثناء عرضنا لحياته إلى اتصاله في بلنسية ببلاط محمد ابن سعد بن مردنيش ملك شرقي الأندلس، وكان وزيره ابن مالك السرقسطي شاعرًا أديبًا وشاحًا، ومن عيون موشحاته قوله:

حث كأس الطلا على الزهر　　وأدرها كالأنجم الزهر
أنسيم يفوح أم عطر
وغصون أمالها القطر
تنثني وما بها سكر
وطيور نطقن بالسحر　　حين هب النسيم في السحر[2]

وكل الدلائل تقطع بأن شاعرنا ابن مجبر كان على صلة قوية بابن مالك السرقسطي هذا، كذلك نشير إلى اسم وشاح آخر سكن مرسية

---

[1] المقتطف: ٢٥٦.
[2] ترد في جيش التوشيح.

وتردد على بلاط ابن مردنيش هو ابن موهد ويذكر له ابن سعيد في المغرب موشحة جميلة، كما برع في مرسية ابن حزمون، وكان شاعرًا ساخرًا «ركب طريقة أبي عبد الله بن حجاج البغدادي... فأربى عليه، وذلك أنه لم يدع موشحة تجري على ألسنة الناس بتلك البلاد إلاّ عمل في عروضها ورويها موشحة على الطريقة المذكورة».

وممن عاصروا ابن مجبر واشتهروا في الشعر والتوشيح الأديب العالم الوزير أبو بكر بن زهر (الحفيد)، وفيه يقول ابن دحية:

«... والذي انفرد شيخنا به، وانقاد لتخيله طباعه وأصارت النبهاء خوله وأتباعه الموشحات، وهي زبدة الشعر وخلاصة جوهره وصفوته»[1]؛ والحق أنه بلغ فيها الذروة من الإجادة والبساطة المتناهية التي تلائم الغناء وتسهل فيها الألفاظ وتنجلي الصور ويصفو النغم إلى أقصى درجات الصفاء والرقة، من طراز:

حي الوجوه الملاحا وحي زرق العيون

هل في الهوى من جناح

وفي نديم وراح

رام النصوح صلاحي

وكيف أرجو صلاحًا بين الهوى والمجون

والخلاصة أن ابن مجبر عاش في جو كانت الموشحات قد احتلت فيه مكانة عالية من الشهرة، إذ شاعت بين عامة أهل الأندلس.

ثم ما لبثت أن تطورت وارتقت حتى فُتِنَ بها عليه القوم واحتلت مكانًا أثيرًا في بلاط الملوك والأمراء، وتطرقت إلى سائر فنون الشعر من مديح وغيره، وإن بقيت موضوعات الغزل والوصف واللهو غالبة عليها.

وهذه اللوحة عن الموشحات تفضي إلى قصر الحديث على موشحة بعينها، هي تلك التي عثرنا عليها من نظم ابن مجبر والتي تبدأ هكذا:

---

[1] المغرب: ج٢ ص٢٦٢.

يـا قلـب مـا للهـوى ومـــالك ومـــا لمــــن لامــــي ومــــالي

أســـرفت يـــا قلـــب في هواكـــا

فـــاجنح إلى ســـلوة صباكـــا

تنـــال مـــن أمـــره فكاكـــا

وأنـــت يـــا يـــا عـــاذلي كفاكـــا

لـــو أن حـــالي يكـــون حـــالك علمـــت مـــا حمّـــل احتمـــالي

إن الموشحة، كما هو معروف، من أكثر ألوان الشـعر «غنائيـة»، إن لم تكن أكثرها على الإطلاق، ومن ثم كانت الموضوعات الغزلة والوصفيـة والخمرية شديدة الذيوع فيها، وقلما عالجت الموضوعات التقليدية - خاصة الهجـاء والرثـاء - (وإن كـانت هنـاك بعض نمـاذج قليلـة عـالجت هذيـن الغرضين)؛ أمّا المديح فإن له وضعًا خاصًا يحتاج إلى طويل شرح، ولـو شئنا الاقتصار على الإشارة الموجزة، فإننا نقول «إن المدح تسلل حقًّـا» إلى عـدد كبير نسبيًا من الموشحات، ولكنه كان يقتصر في العادة على مقطع صغير أو مجرد اسم الممـدوح في الخرجـة، ونـادرًا مـا نجـد موشـحة مكرسـة بصـورة أساسية للمدح، كما هو الحال في القصائد.

وإذن فإن موشحة ابن مجبر تنهج نهج غالبيـة الموشـحات لا بغنائيتهـا فحسب، بل وأيضًا بعزفهـا علـى أوتـار المحـب المدلـه الـذي يقاسـي لواعـج الهوى، ومع ذلك لا يكف اللائمون عن تصويب سهامهم.

ثم تمضـي الموشـحة تاركـة توجيـه الخطـاب إلى اللائـم لتلتفـت لهـذا المحبوب الذي زاد في دله، ومضى ينكث بعهده، وهو لا يني يحاول أن يجعـل قلبه برعوي، ولكنه لا يطيع النصيحة.

... وهكذا حتى تقترب الموشحة من نهايتها، وهنا نجد هذه الالتفاتـة الرشيقة التي تصدح فيها أحاسيس النشوة والوله والمرح:

مـــا ضـــر أن لـــو لثمـــت فـــاه

مـــن ســـامني الخســـف في هـــواه

فقلـــت كيـــلا أعـــدو رضـــاه

عـــلّ حبيـــبي وقـــع بيـــالك   أنِّ بغـــيرك شـــغلت بـــالي؟

والخرجة تأتي مسبوقة بـ «فقلت...»، وهذا يأتي متسقًا مـع القـاعدة المتبعة في معظم الموشحات الأندلسية، وهي القاعدة التي ألمع إليها ابـن سـناء الملك في قوله:

«والمشـروع بـل المفـروض في الخرجـة أن يجعـل الخـروج إليهـا وثبًـا واسـتطرادًا، وقـولاً مسـتعارًا علـى بعـض الألسـنة، إمّـا ألسـنة النـاطق أو الصامت... ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من: قـال أو قلـت، أو غنـى أو غنيت أو غنت»[1].

على أن هذه ليست من تأليف ابن مجبر، وإنما استعارها مــن موشـحة مشهورة للأعمى التطيلي مستهلها:

يــا نــازح الــدار ســل خيــالك   ينبيــك أن صـــرت كالخيـــال

وتأتي نهايتها هكذا:

لمـــا اجتليـــت الزمـــان قربـــه

ضمـــن بعـــض الأحـــاديث عتبـــه

إذ ظـــن أنـــي ســـلوت حبـــه

غنيتـــــه أســـــتميل قلبـــــه

علـــك حبيـــبي خطـــر ببـــالك   أنـــي بغـــيرك شـــغلت بـــالي؟

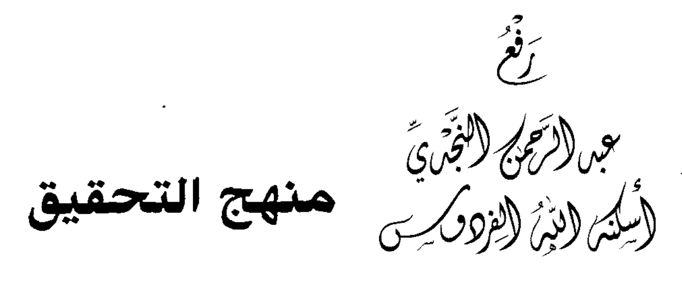
ولا يكاد يوجد خلاف بين الخرجتين، أو بمعنى أدق إن ابن مجـبر لجـأ إلى إنهاء موشحته بهذا المقطع الختامي المستل مــن الأعمـى التطيلـي، وهـذا الصنيع مألوف في الموشحات وتوضحـه عبارة تـأتي في مقدمـة دار الطـراز تقول:

«وفي المتأخرين من يعجز عن الخرجـة، فيسـتعير خرجـة غـيره، وهـو أصوب رأيًا ممن لا يوفق في خرجته بأن يعربها ويتعاقل ولا يلحن، فيتخافف بل يتثاقل.»

---

[1] مقدمة دار الطراز، وانظر كتابنا: الموشحات الأندلسية، ص٢٨٢.

والمهم أن ابن مجبر نجح في جعل الخرجة المقتبسة تتجانس وبقية الموشحة، بل نجح في أن يقدم نصًا بسيطًا في كل شيء: في أفكاره وأدائه وموسيقاه ولغته، وهذه البساطة هي جوهر الجمال هنا؛ فإن هذه الموشحة تصلح للغناء في الوقت الحاضر، كما صلحت للغناء منذ ثمانمائة سنة، والذي يستمع إليها اليوم لن يجد فيها كلمة واحدة مما يستعصي على الفهم، ولن يصادف صورة لا تطرب لها الأذن وتتقبلها المشاعر.



منهج التحقيق

المتفق عليه في المصادر أن ابن مجبر خلّف ديوانًا كبيرًا، و لم تكن له مؤلفّات أخرى غيره؛ والضبي يقول: «وقد رأيت شعره مجموعًا في سفرين ضخمين». كما نص ابن الأبار على أن شعر ابن مجبر «مدون متداول، وقد حمله عنه أبو القاسم بن حسان». كذلك نرى في مطبوعة الإحاطة أن «شعره كثير مدون، ويشتمل على أكثر من سبعة آلاف بيت وأربعمائة بيت». بينما يقول المقري أن الديوان «يشتمل على تسعة آلاف وأربعمائة بيت».

وعُرف ديوان ابن مجبر في المشرق، وهاهي عبارة ابن خلكان تنص على أنه نظر فيه فوجد أكثر مدائحه في الأمير يعقوب ابن عبد المؤمن، وحرفت هذه العبارة، فمحمد عبد الله عنان يسوق في موسوعته عن عصر المرابطين والموحدين: «وقد ذكر لنا ابن خلكان أن مدائح ابن مجبر للمنصور جمعت في ديوان»[1]، وليس هذا بالضبط ما ذكره صاحب «وفيات الأعيان».

ومن المؤسف أن هذا الديوان ضاع تمامًا و لم نعثر له على أثر، في كل ما فحصنا من فهارس ومراجع، و لم يكن بد من الاقتصار على جمع ما بقي من هذا الشعر في كتب الأدب والتاريخ وغيرها، فكان من حصاد التنقيب أن وجدنا نصوصًا لابن مجبر في:

أعلام مالقة	لابن عسكر وابن خميس
بغية الملتمس	للضبي
البيان المغرب (قسم الموحدين)	لابن عذاري

---

[1] عصر المرابطين والموحدين: ج٢ ص٢٤٤؛ وأعاد الكلام: ص٦٩٥.

تحفة القادم	لابن الأبار
التكملة لكتاب الصلة	لابن الأبار
الحلل السندسية	لشكيب أرسلان[1]
الحلل السندسية	للوزير السراج
رايات المبرزين	لعلي بن سعيد المغربي
رحلة التجاني	للتجاني
رفع الحجب	للشريف الغرناطي
الروض المعطار	لعبد المنعم الحميري
زاد المسافر	لصفوان بن إدريس
السحر والشعر	للسان الدين بن الخطيب
سير أعلام النبلاء	للذهبي
عنوان المرقصات والمطربات	لعلي بن سعيد المغربي
فوات الوفيات	لابن شاكر
مختارات من الشعر المغربي والأندلسي	(لمجهول)
منهاج البلغاء	لحازم القرطاجني
الوافي بالوفيات	للصفدي
وفيات الأعيان	لابن خلكان[*]

يُضاف إليها مجموعة «سجع الورق» للسخاوي، وهي لا تزال مخطوطة.

وقد ذكرنا هنا هذه الكتب باسمها المختصر، وكذلك بهوامش التحقيق مكتفين بإيرادها في صورتها التامة وما يتصل بها (كاسم المحقق، تاريخ ومكان النشر...) في ثبت المصادر والمراجع.

---

(1) لا يعد من المصادر ولكن الكتاب أول موسوعة أدبية تاريخية ألفت في العصر الحديث عن الأندلس واعتمد على قدر موفور من المخطوطات والأصول، ومن ثم أثبتناه عند المقابلة بين النصوص.

(*) يعلم الله أننا تريثنا طويلا قبل أن ندفع بالكتاب للنشر، طمعًا في اكتشاف مواد جديدة، ولم نشا أن نثقل هذه القائمة بعشرات المجلدات التي فحصت ولم يفض التنقيب فيها لشيء، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، القسم الأندلسي من مسالك الأبصار.

وحرصنا على ترتيب الشعر بحسب حروف المعجم، وعلى إثبات مصدر - أو مصادر - كل نص، وعلى المقابلة بين القراءات عند تعددها، وإيضاح ما يحتاج إلى شرح، وإثبات ما يتصدر النصوص من عبارات ذات صلة بها، والتزمنا حيال ذلك كله الإيجاز والوضوح والدقّة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا، وآثرنا منهجًا وسطًا في التعليقات، بحيث نثبت ما جاء حول النص في الأصول، ولكن من غير تطويل ولا دخول فيما لا يعد في صميم الموضوع. ونسأل المولى أن يعفو عن الزلل، وييسر العسير ويهدينا إلى سواء السبيل...

شعر

ابن مجبر الأندلسي

(١)

[الكامل]

(•) قضّى حقــوقَ اللهِ في أَعدائــهِ ثــم انثنـــى والنصــرُ تحـت لِوائِــهِ

ثم قال بعد أبيات:

بَحرُ طمىَ والبأسُ مـن أمواجِـهِ صُبُحٌ بــدا والحـقُ مــن أَضوائِــهِ
عَمَــدٌ أَقــام بــه المهيمــنُ حقَّـــه والحــقُّ عمــدةُ أَرضــهِ وسَــمائِهِ
وأَباحَــهُ مُهَــجَ العِــدا فكأَنمــا قــد نصَّلــت أَرماحُــه بقضائِــهِ
أَغْزَى بهم جيشًا تضيقُ الأرضُ عــن أفواجِــه والوهــمُ عــن إِحْصائِــهِ
كالعـارضِ الثَّجَّاجِ[1] مـلءُ هَوائِـهِ لكــنْ دمُ الأَبطــالِ مِــنْ أَنوائِــهِ
لمــا رأى للشِّــركِ رسْـمًا مــاثِلاً أَوْ هَــي قُــواهُ وجَــدَّ في إِقوائِــهِ
أَنحَــى علَيــهِ بــالصَّوارمِ والقَنَــا حتَّــى إِذا لم يبــقَ غــيرُ ذمائِــهِ
أَبْقــاهُ والذُّعــرُ المخيــفُ يُبيــدُهُ فكأَنــه سَــبْعٌ علــى أَشْــلائِهِ
مُسْــتأصِلا شَــيئًا فَشــيئا أَمْرَهــمْ كَــرَّ الزمــانِ بصُبحِــه ومسَــائِهِ

(•) في رفع الحجب ١٥٥/٢ يتصدرها:
«ولما طال على ملوك الروم البلاء، ورأوا ما نزل بهم من الاستئصال لجيوشهم وقواعدهم، واصلوا الرغبة في المهادنة، وأذعنوا إلى السلم، فأجابهم المنصور إليه على شروط كثيرة اشترطها عليهم، وحينئذ أخذ في رجوعه إلى العدوة، رحمة الله عليه؛ وفي ذلك يقول شاعره أبو بكر بن عبد الجليل ابن عبد الرحمن بن مجبر.»

[1] العارض الثجاج: المطر الشديد الانصباب.

(٢)

[الطويل]

(*) دَعَا الشوقُ قلْبِي والرَّكائبَ والرَّكْبا ... فلبُّوا جميعًا وَهْوَ أَولُ مَنْ لبىَّ

وظَلْنا نَشاوَى للذي بقُلوبِنا ... نَخَالُ الهوى كأسًا ويحسَبنا شُرْبا

إذا القُضْبُ هزَّتها الرياحُ تَذكَّرُوا ... قُدودَ الحسانِ البيضِ فاعتنقُوا القُضْبا

ومنها:

يقُولُون داوِ القلبَ تسْلُ عن الهوَى ... فقلتُ لَنِعْمَ الرأيُ لو أَنَّ لي قَلْبا

(*) الأول والرابع في: سير أعلام النبلاء ٢١/٢١٥، والأول والثاني والثالث في الروض المعطار ص٣٤٣، مادة شلب وخبر استسلامها للملك المنصور، ويضيف: وفي ذلك يقول أبو بكر ابن بجير قصيدته المشهورة التي أولها.

(٣)

[المتقارب]

(•) إذا مـــا الصَّديـــقُ نَبَـــا ودُّه
فـــلا يـــكُ ودُّكَ بـــالمنقلِبْ
وعاتِبْـــهُ لكـــنْ رُوَيْـــدا كمـــا
تَعَـضُّ علـى الطفـلِ عنـد اللَّعِـبْ

(•) في زاد المسافر: ص٥٥.

(٤)

[الوافر]

(*) وقائلــــةٍ تقـــــولُ وقـــــد رَأَتنِــــي
أُقاسِي الجــدْبَ في المرعَــى الخصيــبِ
أمــا عطَــفَ الفقيــهُ وأَنــتَ تشــكُو
لـــه شَــكْوى العليــلِ إلى الطبيــبِ؟
وقـــــد مَــــرَّ الثنــــاءُ بِمعْطَفيـــهِ
كمــا مَــرَّ النســيمُ علــى القَضيــبِ
فقلـــتُ: علـــيَّ شُـــكْرٌ وامتِـــداحٌ
وليـــس علـــيَّ تقليـــبُ القُلـــوبِ

(*) في زاد المسافر: ص٥٤، يتصدرها: «وله قطعة يعتب بها».
وهي تشبه من بعض الوجوه قول الأمير الكلبي الصقلي عمار بن منصور:

تقــول وقــد رأيــت رجــال نجــد ... ومــا أبصــرت مثلــك مــن يمــان
ألفــت وقــائع الغمــرات حتــى ... كــأنك والوقــائع توأمــان
وتقتحــم الحــروب رضــيَّ بــال ... كــأنك مــن رداهــا في أمــان
إلى كــم ذا الهجــوم علــى المنايــا ... وكــم هــذا التعــرض للطّعــان
فقلــت لهــا لكــل النــاس عــذر ... ولا عــذرٌ لكلــبيٍ جبــان!

وترد في «معجم العلماء والشعراء الصقليين» للدكتور إحسان عباس، ص١٤٨، بيروت ١٩٩٤.
وأيضًا في «الشعر والشعراء في صقلية» للدكتور عبد الرحيم الجمل، ص٣٧١، القاهرة ١٩٩٥.

(٥)

[الكامل]

(*)يا أيها المنصُورُ بأسُكَ رحمةٌ — فينا وإنْ قال العُداةُ عذابُ
لِمْ ليسَ يَغْلبُ كلُّ جيشٍ قدتَه — ونصيرُه وظهيرُه الغلّابُ
ولكَ الحُساماْنِ اللّذان هما هما — السيفُ ماضٍ والدُّعاءُ مجابُ

ومنها:

هل دبَّ منهم في حِماكُمْ دارجٌ — إلاّ وصُبَّ عليه منك عِقابُ؟
٥ أو جاء مُسْترقا إليكُمْ ماردٌ — إلاّ وأحرَقَهُ هناك شِهابُ؟
أو فارقَ المغرورُ منهم كهفَهُ — يومًا فكانَ لهُ إليهِ إيابُ؟
أفكلّما طلبوا لِعُقر ديارِكُمْ — سلْبًا مضَوا ونفوسُهُم أسْلابُ؟
جَهلوا وظنُّوا أنَّ عِلمًا عندهُمْ — ولرُبّما خدَعَ العيونَ سرابُ
لم تُغْنِهم تلك الدواوينُ التي — حَضَرَتْ وهُمْ عن فهمِها غيّابُ

(*) في زاد المسافر: ص٥٤.

(٦)

[الرمل]

(*) بِعُلاكُمْ وهو حَسْبُ المطنبِ ... عَرَفَ المشرِقُ فضلَ المغربِ
فَسّحَ الدَّهرُ له حتى رآى ... سَيْرَ ابنٍ وأبٍ بَعْدَ أَبِ
فرَعاها بِفُؤادٍ فَطِنٍ ... وتَلاَها بِلسانٍ مُعْرِبِ
قَدْ لعَمْرِي أَبصرَ النورَ الذي ... مُذ بدَا أَعْشَى عُيُونَ النُّوَبِ
٥ ورآى ما لم يَكُنْ يَعْهَدُهُ ... فَهْوَ مشغُولٌ بطولِ العَجَبِ
أيها المنصورُ إن الدينَ قد ... حلَّ مِنْ عزكَ أَعْلى الرُّتَبِ
هو أمرُ اللهِ في أَيديكُمُ ... فاجذِبُوا الأرضَ به تَنْجَذِبِ
رُفِعَتْ قبتُه مضروبةً ... مالها غيرُكُمُ من طُنُبِ
عارضٌ أبْدَى بُروقًا جمةً ... وَهْوَ لم يَأْتِ بِبَرْقٍ خُلَّبِ
١٠ يَقْتَضُون الوَعْدَ بالنصرِ لكم ... وَهْوَ قد خُطَّ لكُم في الكُتُبِ
غيرَ أَنَّ السَّعْيَ محمودٌ ولا ... يَقْطَعُ السيفُ إذا لم يَضْرِبِ
مَنْ يكُنْ مطلَبُهُ نصرَ الهُدَى ... نالَ عندَ اللهِ نُجْحَ المَطْلَبِ
قد تلافَى اللهُ إِفْرِيقِيَّةً ... وَهْيَ نَهْبٌ في يَدَي مُنْتَهِبِ

(*) في البيان المغرب: قسم الموحدين، ص٢٠٠، يتصدرها:
«ولما وصل المنصور حضرة مراكش وتمهد نزوله، وقفل كل من كان ينتظر قفوله، وتفرغ من سلام القاطنين، ومن تضييف الواردين، واجتمع بالسيد أبي الحسن المستخلف بمراكش ومن كان معه من الموحدين فباحثهم في أحوال أولئك المنافقين، فقر لديه من خبيث أقوالهم وكيفية أفعالهم ما أوجب عنده شرعًا سفك دمائهم، بنفاقهم واعتدائهم، فلما وضح ذلك عند المنصور خاطب عثمان بن عبد العزيز الكومي، صاحب قصبة رباط الفتح، أن يعفي آثارهم، ويصيرهم في الهالكين، فقدمهما، فضرب رقابهما، عفا الله عنهما، وقتل في نكبتهما من تحقق اشتراكه في المعصية معهما، وورد الشاعر المحسن أبو بكر ابن مجير في جملة الوافدين للتهنئة بهذا القول السعيد، فقال.»

أَنْتــمُ أَحييتُــــم الدِّيـــنَ وقَــدْ مـات فيهـا مَـوْتَ مَـنْ لم يُعْقِـــبِ

١٥ أحجـمَ الأعـداءُ عنكـم رهبــةً مَــن رآى المــوتَ عِيانًــا يَرْهَــبِ

اهنِئي يـا حَضْـرةَ القُـدْسِ فَقَـدْ رُحْـتِ في ثـوبِ البَهــاءِ المُعْجِــبِ

يــا لهــا مِــنْ أَوْبَــةٍ محمُـــودةٍ سَـقَتْ الدَّهــرَ حيــاةَ الطَّــرَبِ

(٧)

[البسيط]

(*) مَنْ لم يُؤَدِّبْهُ تأديبُ الكِتَابِ فما ... لـه بغير ذُبـابِ السَّيفِ تَـأديبُ

إنَّ الخلافـةَ لا تشـكو بمُعْضِلـةٍ ... والحـافظُ اللهُ والمنصـورُ يَعْقُـوبُ

مشمِّرِ البُرْدِ للحربِ الزَّبونِ[1] وقـد ... ضفَت عليه مـن التَّقْوَى جلابيبُ

فـالبيضُ مُنْهُـنَّ مسـلُولٌ ومدَّخَـرُ ... والخيـلُ منهـن مَرْكُـوبٌ وَمجْنُـوبُ

٥ وليـس يَظْفَـرُ بالغايـاتِ طالِبُهـا ... إلاّ إذا قُرِعَـت فيهـا الطَّنـابِيبُ

للحَرْبِ جُلُّ مساعيه ومـا تَرَكَـتْ ... منـه الحـروبُ تهادَتْـهُ المحـاريبُ

إنْ كان عَرْبَد في الأعـداءِ صارمـهُ ... فإنـه لِرَحِيـقِ الهـامِ شَـرِّيبُ

قد حَصْحَصَ[2] الحقُّ إنَّ النصرَ يتبَعُـه ... فكان مـن أنْفُسِ الكُفَّـارِ تَكْذِيـبُ

لقد عَدَتْهُم عـن التوفيـقِ شِقْوَتُهم ... إنَّ الشـقيَّ علـىَ التوفيـقِ مَغْلُـوبُ

١٠ مـا غـرَّ قَفْصَـةَ إلاّ أنهـا اجْـتَرمَتْ ... فلم يكُنْ عنـد أَهـلِ الحِلْمِ تَـثْرِيبُ

مـا بَالُهـا زار أَمـرُ اللهِ حَوْزَتهـا ... فلـم يكُـنْ عندهـا أَهْلٌ وتَرْحِيـبُ

تَوَهَّمتْ أَنَّ أَهـلَ البَغْـي تَمْنَعُهـا ... وقلّمـا حَمَـتَ الشَّـهْدَ اليَعَاسِـيبُ[3]

(*) يرد البيتان العاشر والحادي عشر في الروض المعطار ص ٥١٨ مادة ميورقة وبقية الأبيات - ما عدا ١٣، ١٤، ١٥ - في الروض المعطار أيضًا، يسبقها:
«ثم نزل عليها ولده المنصور يعقوب بعد وقيعة عميرة، وذلك سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، فأخذت المحلات بمخنقها، وتمادى الحصار والقتال عليها، ورماها بأحجار المنجنيق حتى حكم عليها بهدم سورها وحرقها بالنار، وقتل الناس المحكوم عليهم فيها ذبحًا وقطع شجرها وغير بهجتها ونزع الحسن عنها، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر من قصيدة له غراء»، وذكر في آخر الأبيات أنها طويلة. والأبيات ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ في الحلل السندسية للسراج ٣٦٥/١، وتفردت بإيراد الأبيات الثلاثة الأخيرة.

(١) الزبون: الحرب شديدة البأس.

(٢) حصحص: ظهر بعد خفاء.

(٣) اليعاسيب، جمع: يعسوب: ذكر النحل.

تلك البَغِيُّ التي خانت فحـاق بهـا — وبالزُّنـاةِ بهـا رَجْـمٌ وتعذيـبُ[1]

قد فُضَّ شَمْلُهُـمُ عنهـا وقـد نَعَبَتْ — فيها مـن الحيْـن غِرْبَـانٌ غرابيـبُ[2]

١٥ أَبَـى يَـرُدُّ سَـلِيمًا مـا يُباشِـرُه — وفيـه للنفـس تَرْغيـبٌ وترْهيـبُ

هَذِي أَعادِيهِ قـد صـارتْ مُقَسَّمَةً — علـى البَلايـا فَمَقْتُـولٌ ومَسْـلُوبُ

تَرْمي المجانِيقُ بالأَحجْار فَضْلَـةَ مَـنْ — رَمَتْهُ منهم بها الجُرْدُ السَّـراحيب[3]

مـن كـل مَلْمُومـةٍ صمَّـاءَ حائِمَـةٍ — علـى النُّفـوس فتصعيـدٌ وتَصْويـبُ

يقـول مُبْصِرُهـا في الجـو صـاعدةً — هـذا بـلاءٌ على الكُفَّـار مَصْبُـوبُ

تمهَّـد الأَمْـرُ في أَكنـافِ دَوْلتِـهِ — حتَّى تَأَلفَ فيها السَّخْلُ[4] والذِّيـبُ

---

(١) الحلل: وتغريب.

(٢) الحلل: غرايب.

(٣) السراحيب، جمع: من الخيل، العتاق الخفيفة؛ مفردها: سرحوب.

(٤) السخل: الضعيف المتهاوي.

(٨)

[مجزوء الرجز]

(*) جـــاء وفي يَســـارِهِ
فـــوسٌ وفي اليُمْنَـــى قَـــدَحْ
كَأَنّـــهُ شمــــسٌ بَـــدَتْ
وحولَهـــا قـــوسُ قُـــزَحْ
يَـــا لائِمِـــي فِـــي حبـــه
مـــا كـــلُّ مَـــنْ لامَ نَصَـــحْ

(*) في نفح: ١٦١/٤، يتصدرها:
«وحكى أن أبا بكر ابن بجير قال في ابن لأبـي الحسـن بـن القطـان بمحضـر والـده، - الأبيـات - وبعدها:
فقال ابن عياش الكاتب: هذه أبيات لأندلسي أستوطن المشرق في تركى، فأقسـم أبـو بكـر أنـه لم يسمع شيئا من ذلك، وإنما ارتجلها. وقيل إنها لأبي الفتـح محمـد بـن عبـد الله، مـن أهـل بغـداد، وأولها:
جدّ بقلبي ومزح ...»
ونقل د. محمود علي مكي الخبر والنص في مقدمة تحقيق «نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبـار الزمان»، ص٢٩، ط. بيروت ١٩٩٠.

(٩)

[الوافر]

(*) بِنَفْسِـــي الرايـــةُ البيضـــاءُ تهفُـــو
بأنفاسِـــي وأنفـــاسِ الريـــاحِ

تَـــدُلُّ عليـــه إذ يَخفَـــي ويَبْـــدُو
كخيـطِ الفَجْـرِ دلَّ علـى الصَّبـاحِ

(*) في رايات المبرزين: ص١١١، يسبقها:
«أنشدني له والدي عنه في أبى سعيد بن جامع، وزير يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، وهو يحمل راية بيضاء، فإذا أضمرته الغيطان دلت على موضعه.»
وأبو سعيد بن جامع من الوزراء المشاهير في الدولة الموحدية، وظل يشغل منصب الوزارة كذلك في عهد الخليفة الناصر (ابن يعقوب) وشارك إلى جانبه في معركة العقاب. راجع عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج٢، ص٢٧١، ومواضع أخرى كثيرة.

(١٠)

[البسيط]

(*) إِنَّ الشدائدَ قد تَغْشَى[1] الكريمَ لأَنْ
تُبِيَن فضلَ سَجَاياه وتُوضِحَهُ

كمِبْرَدِ القَينِ[2] إذ يْعلُو الحديدُ به
وليسَ يأْكُلُهُ إلاّ ليصْلِحَهُ

(*) تكملة الصلة: (مخطوطة الأزهر)، ١٣٢ ظ.، يسبقها: «ومن جيده المحفوظ»، وهما في ط. كوديرا، ج٢ ص٧٢٥-٧٢٦، ترجمة رقم ٢٠٥٥.
وهما نفح ٣٣٦/٤ يتصدرهما: «وقال الشاعر الكبير أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري. والبيتان في الحلل السندسية (أرسلان) ٤٩٨/٣، يتصدرهما:
«ابن مجبر أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن مجبر الفهري. نشأ بمرسية، وتأدب بشيوخها، وسكن إشبيلية، وكان شاعر الأندلس في وقته، بل شاعر المغرب غير مدافع. مدح الأمراء، وكتب لبعضهم وسارت قصائده سير الأمثال... توفي بمراكش ليلة الأضحى سنة ٥٨٨هـ، وقيل قبلها وذكره ابن الأبار.»

(١) الحلل: تفشي.

(٢) القين: الحداد

(١١)

[السريع]

(•) بِـي رشـأٌ وسـنانُ مهمـا انْثَنَـى
حَـار قضيـبُ البـانِ في قـدِّهِ

مُـذْ ولِىَ الحُسـنَ وسـلطانَهُ
صـارتْ قلـوبُ النَّـاسِ مـن جُنْـدِهِ

أَودع في وجنتِـهِ زَهْـرةً
كأَنهـا تجـزَعُ مِـنْ صـدِّهِ

وقـد تفـاءلتُ علـى فِعْلِـه
أَنِّـي أَرى خـدِّي علـى خـدِّهِ

(•) نفح ٤/٨٨، يسبقها:
«وقال أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي: حدثني بعض الطلبة أن أبا العباس الجراوي كان في حانوت وراق بتونس، وهناك فتى يميل إليه... فقال ارتجالاً...
قال أبو بحر: ثم سألني أن أقول في هذا المعنى، فقلت بديها:

أومـي إلى خـده بسوسـنة — صفراء صيغت مـن وجنـتي عبـده
لم تـر عيـني قبلـه غصنـا — سوسـنه نـابت إزا ورده
أعملـت زجـري فقلـت ربتمـا — قـرّب خـد المشـوق مـن خـده

فحدثني المذكور أنه اجتمع مع أبي بكر يحيى بن بحير، رحمه الله تعالى، قبل اجتماعه بي في ذلك الموضع الذي اجتمع فيه بي بعينه، فحدثه بالحكاية كما حدثني، وسأله أن يقول في تلك الحال فقال بديها (الأبيات)، فتعجبت من توارد خاطرينا على معنى هذا البيت الأخير.»

(١٢)

[المديد]

(*) قيــل لي أودى ســعيدُ بــنُ عيسَــى
يرحُــم الله بــنَ عِيســى ســعِيدَا
أَكَلَتْــهُ الحــربُ شــيخًا كبــيرًا
وقديمًــا[1] قــد أرضعَتْــهُ وَلِيــدَا

(*) زاد المسافر: ص٥٤؛ وبغية الملتمس: ص٥٠٨؛ مصدرة بـ«يحيى بن مجبر، أبو بكر، أديب شاعر متقدم في طريقة الشعر. برع فيها وفاق أهل زمانه. توفي ليلة عيد الأضحى بمراكش في سنة ثمان وثمانين وخمس مائة. أنشدت من شعره يرثى القائد أبا عثمان بن عيسى».

(1) بغية: وقائمًا.

(١٣)

[البسيط]

(*) بُشْراي هذا لِواءٌ قلَّ ما عُقِدا
إلاّ ومدَّ له الروحُ الأمينُ يدَا

وأَقْبَلَ النصرُ لا يَعْدُو مناحِيَهُ
فحيثُ ما قصدتْ راياتُهُ[1] قَصَدَا

واستقبَلَتْهُ تباشيرُ الفُتوحِ فَقَدْ
كادت تكونُ على أَكتافِه[2] لِبَدَا

وقرَّبَ الفَلَكُ الدَّوارُ بُغْيَتَهُ
فَلَوْ تناوَل بعضَ الشُّهبِ ما بَعُدَا

إمامُ جيشٍ أراد اللهُ نُصْرَتَهُ
فأرسلَ الملأَ الأَعلى له مَدَدا

إِنِّي لأَحْكُمُ بالنَّصْرِ العَزِيزِ لَهُ
وإِنْ سَكَتُّ فإنَّ الوَحْيَ قَدْ شَهِدَا

(*) البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص٢٠٦؛ يسبقها:
«ثم إن المنصور حقق تمييز الجيوش المسترزقة، ومن افترق من الأعداد الموصلة من بر العدوة أخذوا باقيهم باسم البركة، وأمر بسوق الرايات وعَقَدها وخرج من حينه والنصر والسعد محالفان له في حالتي حركته وسكونه، فقال أبو بكر من قصيدة.»
والأبيات الثلاثة الأولى في الروض المعطار ص٣٤٣، ووصفت فيها بأنها من قصيدة طويلة.

(1) البيان: أربابه.

(2) البيان: أكتافه.

(١٤)

[البسيط]

(*) عَدُوُّكُمْ بِخُطُوبِ الدَّهرِ مَقْصُودُ ... وأَمرُكُمْ باتّصالِ النَّصْرِ مَوْعُودُ
رأى الشَّقاءَ ابنُ إسحاق أَحَقَّ بِهِ ... مِنَ السَّعادةِ والمَحْدُودُ مَحدُودُ[1]
وكيفَ يحظَى بِدُنْيا أَو بِآخِرَةٍ ... مِخْلافةٌ[2] عن طريقِ الحَقِّ[3] مَطْرُودُ
أَعْمَى ونُورُ الهُدَى بادٍ لَهُ وكَذَا ... مَنْ لَمْ يساعِدْه توفيقٌ وتَسْدِيدُ
٥ لَمْ يُصْغِ للوَعْظِ لا قلبًا ولا أُذُنًا ... وكيفَ تُصْغِي إلى الوَعْظِ الجَلامِيدُ
لَجَّتْ ثَمُودٌ وعادٌ في ضَلالِهِمُ ... ولم يَدَعْ صالِحٌ نُصْحًا ولا هُودُ
والسيفُ أَبلَغُ فيمن ليس يَرْدَعُهُ ... عنِ الغِوايةِ[4] إبعادٌ وتَهْدِيدُ
أَوْلَى له لَوْ تراخى ساعةً لَغَدا[5] ... وَرِيدُهُ وهْو بالخَطِّيِّ مَوْرُودُ
أَما دَرَى -لا دَرَى- عُقْبَى عَداوتِكُم ... كلُّ بحدِّ حُسامِ الحَقِّ مَحْصُودُ
١٠ أَلْقَى السِّلاحَ وولَّى يبتغِي أَمَدَا ... يُنْجِيهِ وهو مَرُوعُ القَلْبِ مَفْؤُودُ[6]
ما مَرَّ يومًا ببابٍ ظَنَّهُ سَبَبًا ... إلى التّخلُّصِ إلاّ وَهْوَ مسدُودُ

(*) في البيان المغرب: قسم الموحدين، ص١٩٣، الأبيات ١-٣، ٩-١٣، ٢١-٢٤، في معرض فتح المنصور لبلاد الجريد، يتصدرها:
«وأكثرت الشعراء في هذا الفتح، فقال أبو بكر بن مجبر في فتح يوم الحمة» - الأبيات -
في الروض المعطار، ص٢٠١، الأبيات ٢-٨، ١٣، ١٧، يسبقها: «وقال هو أو الجراوي في ذلك»، أي في استيلاء المنصور على قابس.
ومنها في الحلل السندسية (للسراج)، ج١ ص٣٦٣، الأبيات ٢-٤، ٧، ٨، ١٣-١٨، يتصدرها:
«ومما قاله هو أو الجراوي في هذه الوقيعة، وثبتت القصيدة في ديوان الجراوي.
والأبيات نفسها تكررت - كما في المصدر السابق - في رحلة التجاني، ص١٣٨، وجاء فيها اسم الشاعر الآخر: الجواري، وهو تحريف.

[1] كذا في معظم الأصول، وفي الحلل: المحمود محدود. (ولعلها: والمجدود مجدود).
[2] التجاني: مخلَب. البيان. محلا وأخذنا برواية الحلل.
[3] الحلل والتجاني: الرشد
[4] البيان والحلل: من الغواية.
[5] التجاني: لغد.
[6] البيان: مودود.

وهبْهُ عاشَ أَلَيْسَ الموتُ أَهْـونَ مـن عيـشٍ يخالِطُـه هَـمٌّ وتَنْكِيـدُ
أَنْحَى الزَّمانُ على الأعداءِ[1] واجتهَدَتْ في قَطْعِ خَضْرَاتِهِمْ[2] أَحداثُهُ السُّودُ
ونَـازَعَتْهُمْ نُفُوسُ الهِنْـدِ أَنْفُسَـهُمْ فلـم يُفِدْهُـم علـى الهَيْجَـاءِ تَعْرِيـدُ
١٥ فَهُمْ على التُّربِ صَرْعى مِثْلهُ عَدَدا إِنْ كان يُقْضَي بأَنَّ التُّربَ معْدُودُ
ولَّوا فلا صاحِبٌ عن نَفْسِ صاحِبِهِ يُغْنِـي ولا والِـدٌ يرْجُـوه مَوْلُـودُ
يـومٌ جديـرٌ بِتعظيـم الأنـامِ لـه فيمـا يُقَـاسُ بـه في حُسْنِهِ عِيـدُ
أَضْحَتْ على فضلِهِ الأيـامُ تحسُـدُهُ إِنَّ النَّبيـهَ الرَّفيـعَ القَـدْرِ مَحْسُـودُ
أَنْتُمْ سليمانُ في المُلْـكِ العَظِيـمِ وفي طُـولِ التَّهجُـدِ في المِحْـراب داوُودُ
٢٠ قـد أَبْهـجَ الدينَ والدُّنيا مُقَـامُكُمُ وكَيْفَ لا وَهْـوَ عنـد اللهِ مَحْمُـودُ
جَارَى مَنَاقِبكُم شِعْرِي فَقَصَّرَ عـن بُلُـوغِ أَدنَـى مَدَاهـا وَهْـوَ مَجْهُـودُ
مَنْ ليس مُعْتِقـدًا إِيجابَ طاعَتِكُم فليـس يُغْنِيـهِ إِيمـانٌ وتَوْحِيـدُ
رِضَـاكُمُ الديـنُ والدُّنيـا وَعَدْلُكُـمُ ظِـلٌّ ظليـلٌ على الأَيَّـامِ مَمْـدُودُ
دُمْتُمْ حَيَاةً مدَى الدُّنيـا ودَام لَكُـمْ نَصْـرٌ وفَتْـحٌ وتمكِيـنٌ وتَـأْيِيدُ

---

[1] البيان والحلل: الأغزاز. التجاني: الأغرار.
[2] الروض: في قطع دابرهم.

(١٥)

[الرمل]

(•) وُلِــدَ العَبْــدُ الَّــذي إِنْعــامُكُمْ
طِينَــةٌ أُنشــئَ منهــا جَسَــدُهْ
وَهْــوَ دون اســمٍ لِعِلْمــي أَنَّــهُ
لا يُسَــمي العَبْــدَ إلاّ سَــيدُهْ

(•) نفح: ٢٤١/٢، يتقدمها:
«ومن نظم ابن مجير أيضًا ما كتب به إلى السلطان ملك المغرب، رحمه الله تعالى، وقد ولد له ابن أعنى لابن مجير.»

(١٦)

[السريع]

(*) يـــا رَشَـــأَ الســـدرِ ولـــو أَنّـــني
أَنْصَفـــتُ نـــادَيْتُ رَشَـــا الصَّـــدْرِ
يـــا قاسِـــيَ القَلْـــبِ أَلاَ عَطْفَـــةٌ
تُثْنِـــي إِليهـــا رِقَّـــةَ الخَصْـــرِ
مـــا بَـــالُ قَلْبِـــي مِثْـــلُ عينيـــكِ لا
يُفِيـــقُ مـــن هَـــمٍّ ومِـــنْ سُـــكْرِ
وَلَـــوْ أَرادَ اللهُ رِفْقًـــا بـــهِ
لم يَكْحَـــلِ الأَجْفَـــانَ بالســـحْرِ
٥ مِـــلْءُ فـــؤادِي زَفْـــرَةٌ تَلْتَظِـــي
ومِـــلْءُ عَيْنِـــي عَـــبْرَةٌ تَجْـــري
آيـــاتُ داودٍ إِذَنْ في يَـــدِي
إِن لانَ لي قلـــبُ أَبـــي بَكْـــرِ

(*) في زاد المسافر: ص٥٦.

(١٧)

[الكامل]

(*) ثَابَ العَزاءُ وحان الأخذُ بالثَّارِ — قد عَادَ في غابِهِ الضَّرْغَامةُ الضَّاري
إنْ كـان أَوْرَدَهُ البَأْسَـاءُ مَـوْرِدَه — فقـد تَدَارَكَنَـا مِنْـه بِـإِضْرارِ
أتـى لِيَمْحـوَ بالحُسْـنى إسَـاءَتَهُ — كمـا أَتى مُذْنِـبٌ يُـدْلي بـأَعذَارِ
وما حلا منـه صـاب كـان جُرّعَـهُ — وإنّمـا شَـابَ إحْـلاءً بـإمرار
٥ لما رأيتُ انصرافَ القَوْمِ قُلْتُ لهم — يَلقى الرَّزايا مَنْ استحيا مِـنَ العَـارِ
ما مَاتَ مَنْ ماتَ والإقـدامُ يـوردُه — وإنّمـا مـات حيًّـا كـلُّ فَـرَّارِ
قالوا رِدُوا باقتحامِ البحرِ عن غُـرَرٍ — والمـوت يُـدْلي بأنيـابٍ وأَظْفَـارِ
فَقُلْتُ هيهاتَ مِقْدَارٌ جَرَى فَقَضَى — بِمـا قَضَـاهُ ولا ردٌّ لِمقْـدَارِ
إنَّ الحِمَامَ الَّـذي في البَحْـرِ غَـالَهُمُ — قَدْ غَال عُثْمانَ ذا النُّورَيْنِ في الغَارِ
١٠ نِيرانُ حَرْبٍ بموجِ البحرِ قد طُفِئَتْ — وَهْـيَ الموائِـدُ بـين المـاءِ والنَّـارِ
كانت رزايا أثارت طِيبَ ذِكْرهـمُ — كالنَّـارِ تَلْفَحُ في الهِنْـدي والغَـارِ

ومنها:

ما عَزَّ عند امرئٍ مِقْـدارُ ذِي كَـرَمٍ — إلاَّ رَأَى فيـه قِنْطَـارًا كَدِينَـارِ

(*) في زاد المسافر: ص٥٧؛ يتصدرها: «وله من قصيدة عند استنقاذ النصارى المظفر من الأسر.»

(١٨)

[الطويل]

(•) دَعِ العينَ تَجْني الحُبَّ مِنْ موقِعِ النَّظَرْ ... وَتَغْرِسُ وَرْدَ الحُسْنِ في رَوْضَةِ الخَفَرْ
أُمتّعُها فيه فإنْ تكُ لوعةٌ ... صَبِرْتُ وما ذمَّ العَوَاقِبَ مَنْ صَبرْ
فُتورُ العُيونِ النُّجلِ يُطلَبُ بالهوى ... وإنْ غُفِلَ التفتيرُ لَمْ يُغْفَلِ الحَوَرْ
وَزَائرةٍ والليلُ مُلْقٍ رُوَاقَهُ ... ومِنْ أَينَ للظَّلماءِ أَنْ تَكْتُمَ القَمَرْ؟
٥ حَدرْتُ نِقَابَ الصَّونِ عن صَفْحِ خَدِّها ... فيا حُسْنَ ما انشقَّ الكِمامُ عن الزَّهَرْ
وراودْتُها عن لَثْمِهِ فتمنعتْ ... وما عادةُ الأَغصانِ أَن تَمنَعَ الثَّمَرْ
رَشَا كُلَّما أَدمَتْ جُفُوني خَدَّهُ ... أَشَارَ إلى قلبي بِعَيْنيهِ فانْتَصرْ
يُطالِبُني قَلْبِي بتقبيلِ ثَغْرِهِ ... لَقَدْ غَاصَ في بحرِ الجَمالِ على الدُّرَرْ

(•) في زاد المسافر: ص٥٥.

(١٩)

[الوافر]

(•) سَأَسْتجدِي صغيرًا من كبيرٍ وَأَرْغبُ في حَصَاةٍ من ثبيرِ
وأَقنَعُ بالقليلِ النَّزْرِ ممن يَجُودُ وليسَ يَقْنعُ بِالكَثيرِ
أَلا إِنَّ النفوسَ إذا أَحَبَّتْ أَدلَّت في الخطيرِ وفي الحقِيرِ
ومَنْ يرجو المُلُوكَ لكل أمرٍ فلا يَذَرُ الحقيرَ من الأُمورِ
٥ وَوَجْهُ العُذْرِ في الأسفارِ بادٍ فلا أَحتاجُ فيه إلى سُفُورِ
رأَيتُ الحَبَّةَ البيضاءَ عزَّتْ فكيفَ يَسيرُ بي طاوي المصيرِ
مَتَى أَصْغَي إلى تِصْهالِ طِرْفٍ يُجِبْهُ بالعَويلِ وبالزَّفِيرِ
وأَوردُه المناهِلَ وهي زُرْقٌ فَيَصْدُرُ بي عن الماءِ النَّمِيرِ
وإِن أَصفِرْ لِيَشْرَبَ قال مَهْلاً أَصُفْرُ الجَوْفِ يشربُ بالصَّفيرِ
١٠ أَحسَّ بِوَسْقِ أَبْعِرَةٍ رآها فأَقبَلَ يرتعِي بَعْرَ البَعِيرِ
ورامَ يَسيرُ مِنْ طَرَبٍ إليها فقَيَّدَهُ الهُزالُ عن المَسِيرِ
ورُمْتُ أُخادِعُ الكَيَّالَ فيما لديه فقال لي نَزْرًا بِزُورِ
وأُنشِدهُ من المَرْوِي طَوْرًا وطَوْرًا من بُنَيَّاتِ الضَّمِيرِ
وَأَذْكُرُ للفَرَزدَقِ أَلفَ بيتٍ وأُكثِرُ في الروايةِ عن جَريرِ
١٥ فقال لي الذَّميمُ إليكَ عني فليس الشعرُ يُقْبَلُ في الشَّعِيرِ
فلا تُخبرْ عن الأُمَمِ المَواضِي فإِنَّكَ قد سَقَطْتَ على الخبيرِ
أَتَرْجُو فِطَرَ أَهْلِ الصَّوم عندي؟ لقد أَصْبَحْتَ ذا رَأْيٍ فَطِيرِ

(•) زاد المسافر: ص٥٣.

أَإِحْسَانَ الرَّشيد[1] ظَنَنْتَ عِنْدِي فَأَنْتَ تَرُومُ تَيْسيرَ العَسِيرِ
أَرَاكَ شَمَمْتَ رائحةَ الأَمانِي لذلكَ شِمْتَ بارِقَةَ السُّرورِ
٢٠ أَميرٌ قد محا ظُلَمَ اللَّيالي وأَغْرَقَ جودُه نُوَبَ الدُّهُورِ
يَمَلُّ الدَّهْرُ من يَأْسٍ وبَأْسٍ وليس يَمَلُّ من خيرٍ وخِيرِ
تَلاعَبُ في مواهِبِهِ الأَماني كأَمثالِ السَّفائنِ في البُحُورِ
لـه في شِدَّةِ الأَزماتِ رَوْحٌ كَبَرْدِ الظلِّ في حَرِّ الهَجِيرِ
فَأَحْسَنُ منظرٍ بِرٌّ جميلٌ يُزَفُّ به إلى عَبْدٍ شَكُورِ
٢٥ عَلِمْتُ وقد شَكَرْتُ عُلاكَ أَنِّي إلى التقصيرِ أُنْسَبُ والقُصُورِ
جَناحِي قُصَّ بالأَزمَاتِ لكِنْ بوفرِك سوف يُصْبِحُ ذا وُفُورِ
ولو قد رِشْتَهُ طار انتِهَاضًا فما هُوَ بالمَهِيضِ ولا الكَسِيرِ
إذا عَبَّرتُ عَنْ تلكَ السَّجايا فقد عَبَّرتُ عن نَشْرِ العَبيرِ
بَقِيتَ لنا وسمعُك ليس يَخْلُو مِنِ اسْتِحسانِ مُثْنٍ أَو مُشِيرِ

---

[1] لعل المعني بالرشيد هنا:
الرشيد أبو حفص عمر بن يوسف بن عبد المؤمن؛ انظر عنه هامش القصيدة رقم ٢٠.

(٢٠)

[البسيط]

(*) هل زِيدتِ الشمسُ للأنوار أنْوارا | أم عادَتِ الشُّهبُ في الأفْلاكِ أقمارا؟
أم أُعطِيَ الدَّهْرُ نورًا غَيْرَ نُورهِما | فإنَّ للهِ في المَعْهُودِ أسْرارا
لَيْسَ الضياءُ الذي قد كُنْتُ أَعْهَدُهُ | بل زَادَ حتّى وجدتُ الوَهْمَ قَدْ حَارا
ما ذاكَ إلاّ لأمرٍ كلُّهُ عَجَبٌ | قد أعطِيَ الدينُ منه فوق ما اختارا
٥ بُرْءُ الأَمِيرِ أبي حَفْصٍ تَدَاخلَنا | سُرُورُه فَرَأَينا النُّورَ أَنْوارا
تَبُثُّ يُمناه زَهْرًا في الطُّرُوسِ ولا | نُكْرٌ على السُّحْبِ أن يُنبتْنَ أَزْهَارا
خَطٌّ هُوَ السحْرُ لَكِنّا نُنَزِّهُهُ | ونجعلُ القَلَمَ النَّفاثَ سَحَّارا

(*) زاد المسافر: ص٥١؛ وهي أول ما في الكتاب من شعر ابن مجبر، وصدرها بـ: «أبو بكر بن مجبر، من بلش، له من قصيدة» – والمرجّح أن أبا حفص المذكور هنا هو الأمير السيد أبو حفص شقيق الخليفة المنصور، وقد تولى منصب الحجابة له (وهو منصب يوازي رئاسة الوزارة)؛ كما وليَ على شرقي الأندلس، ثم شق عصا الطاعة على الخليفة. وانتهى أمره بأن قتل سنة ٥٨٢هـ.

(٢١)

[الكامل]

(•) رَكْبٌ إلى نارِ الجَحِيمِ مسيرُهُمْ
ورِكابُهُمْ لا تستطِيعُ مَسِيرا
الحيُّ مِنْهُمْ لا يُرَى مستوطِنا
والمَيْتُ مِنْهُمْ لا يُرَى مَقْبورا
مما يُزِيدُ(١) الأَرْضَ طيبًا أنها
لَفَظَتْ عِدَاتك أَبطُنا وظُهُورا

(•) في بغية الملتمس: ص٥٠٨؛ وقبلها البيتان الداليان اللذان أولهما:
قيل لي أودي سعيد بن عيسى ...
ويتصدر المقطوعة:
«ولما صلب الجزيري ومن أخذ من أصحابه بحضرة إشبيلية وعاينهم قد رفعوا في خشبهم أنشد.»
وانظر في تفصيلات ثورة الجزيري: محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، ج٢ ص١٨٠، ومراجعه.

(١) بغية: ما يزيد (وأصلحناها بما يناسب الوزن).

(٢٢)

[الطويل]

(*) أَلاَ اصْفَحْ عن الطِّرفِ الذي زلَّ إِذ جَـرَى
أَيَثْبُـتُ طِـرْفٌ فوقـه النَّـاسُ والدهـرُ

تَدَاخَلَـهُ كِـبْرٌ لِئَـنْ كنـتَ فَوْقَـهُ
فتلـك لَعَمْـري زلـةٌ جَرَّهـا الكِـبْرُ

ثَبَـتَّ عَلَيْـه حـين زلَّ رَجَاحَـةً
أَيخْـرُجُ عـن أَثنـاءِ هالَتِـهِ البَـدْرُ

ولم يَـدْرِ هـل أَمْسـكَتَهُ أو رَكَضْتَـهُ
ولِلعُجْـبِ سُـكْرٌ ليـس يَعْدِلـه سُـكْرُ

(*) تحفة القادم: ص٩١؛ مسبوقًا بـ: «وله أيضًا»، وجاء قبلها بيتان لابن مجبر، في ثنايا ما ورد من أبيات من شعر ابن صاحب الصلاة، والقطعتان قيلتا في مناسبة سقوط ممدوحه عن جواد.
راجع القطعة رقم ٤١:

لا ذنب للطرف إن زلت قوائمه   وهضبة الحلم إبراهيم يزجيها

(٢٣)

[الكامل]

(*) أَعَلِمْتَنِي أُلْقِي عَصَا التِّسْيارِ   في بلدةٍ ليست بذاتِ قَرارِ[1]

ومنها في وصف المقصورة:

طَوْرًا تكونُ بما حَوَتْه مُحيطةً   فكأنَّها سُورٌ من الأَسْوارِ
وتكونُ طَوْرًا عنهمُ مخبوءةً[2]   فَكَأَنَّها سِرٌّ من الأَسْرارِ
وكأنَّها عَلِمَتْ مقادِيرَ الهوى   فَتَصَرَّفَتْ لهمُ على مِقْدارِ

(*) في رفع الحجب: ج١، ص٧١-٧٢؛ يتصدرها:
«ويتعلق بذكر الهالة ما حكاه أبو عبد الله بن عياش، كاتب المنصور أبي يوسف بن يعقوب، قال: كان لأبي بكر بن مجبر وفادة على المنصور في كل سنة، فتصادف في إحدى وفاداته عليه فراغ المنصور من إحداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصلة بقصره في حضرة مراكش، وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله، وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والأدباء قد نظموا أشعارًا أنشدوها إياه في ذلك، فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير، فيما جدد من معالم الدين وآثاره، ولم يكن فيهم من تصدى إلى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشده - الأبيات.
قصيدته التي أولها: أعلمتني... واستمر فيها حتى ألم بالمقصورة فقال يصفها (الأبيات)...، فطرب المنصور لسماعها، وارتاح لاختراعها، والتفت إلى الجراوي، وكان يعلم قلة تسليمه لأبي بكر، وكثرة غضه منه، فقال: سلم له يا أحمد! ثم أنشده:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع!

قال أبو عبد الله: فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه أن لم يكن أول منشد حتى يخفوا أشعارهم بعده ويخفوا عوارهم.»
والأبيات - ما عدا الأخير - في الإحاطة: ج٤ ص٤٢١؛ ونفح: ج٣ ص٢٤١؛ والذي فيهما تلخيص لما في الحجب المستورة؛ وتأتي أيضًا في السحر والشعر: ص١٤٥؛ يتصدرها: وقول أبي بكر بن مجبر في مقصورة ترفع بآلات مهندسة من تحت الأرض عند إتيان الأمير للصلاة، ثم تعاد. وأيضًا في الحلل الموشية: ص١٤٥؛ تتصدرها مقدمة طويلة في وصف المقصورة. أمّا البيت المذكور في الخبر، فإنه مما ينسب إلى الخليل بن أحمد.
(1) رفع الحجب: قراري.
(2) السحر: محجوبة.

٥ فـإذا أحسَّـت بالإمــام[1] يزورُهــا في قومِــهِ قــامتْ إلى الــزُّوَّارِ
يَبْــدُو فتبــدُو ثــم تَخْفَــي بعــدَهُ كَتَكَــوُّنِ الهــالاتِ[2] للأَقْمــارِ

[1] السحر والحلل الموشية: أحست بالأمير.
[2] الحلل: فتكون كالهالات.

(٢٤)

[البسيط]

(*) تَـــراهُ عيـــنِي وكَفِّـــي لا يُبَاشِـــرُه
حتـــى كـــأنِّي في المـــرآة أُبْصِـــرُهُ

(*) في عنوان المرقصات والمطربات: (ط. الجزائر)، ص٤٢؛ يتصدره: «ابن بحير، له في المرقص قوله».

(٢٥)

[الطويل]

(*) قَلاَئِدُ[1] فَتْحٍ كان يَذْخَرُها الدَّهْرُ
فلما أَردْتَ الغَزوَ أَبْرزَها النَّصرُ

فها هي مُذْ جدَّتْ رِكَابُك تَنْبَري
سِراعا فَمِنْ أَفراحِها الشَّفعُ والوَتْرُ

فَدُونكَها مَنْسوقةً فَلَشَدَّ ما
تَسابَق فيها نحوك البَرُّ والبَحْرُ

هو الفَتْحُ يا مولاي ما فيه مِرْيةٌ
ولا لِلَّيالي في تَعَذُّرِهِ عُذْرُ

ومنها:

٥ أَفي الصُّبحِ شكٌّ أَنَّه لَمُصَبِّحٌ
وقد غاضت الظَّلماءُ وانفجَر الفَجْرُ

(*) في البيان المغرب (قسم الموحدين): ص٢٠٣؛ يسبقه:
«وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة تحرك المنصور من رباط الفتح في أواخر محرمن وتمادى السير إلى قصر مصمودة، وجدد منها المخاطبات إلى إشبيلية تتضمن قربه الميمون إليهم، ووفوده في أقرب وقت عليهم، وفي أثناء هذا بدر من بواكر الفتوحات تعكس أجفان الروم، فقتل منهم خلق وأسر آخرون، فهنئ بذلك المنصور، وامتدحه الشعراء، فمنهم ابن مجبر، فإنه قال من قصيدة طويلة أولها...»
والبيت الأول في الروض المعطار، ص٣٤٢.

[1] البيان المغرب: دلائل فتح.

أَتتــك أَســارَي الــرُّومِ وهـــي أَقلُّهـــا
فَمِنْ فَضَــلاتِ القَتْــلِ يُنْتَجَــعُ الأَسْــرُ
ومـا كَـان قبـل اليـوم سَـهْلاً مَرَامُهـا
ولكـنْ عَـلاَ الإِسـلام مـا اتّضَـعَ الكُفْـرُ
ومــا زِلْــتَ تَدْنُــو كــلَّ يــومٍ مســافةً
إِليهــم ويهــوي في نفوسِــهُمُ الذُّعْــرُ

ومنها:

لقــد كــان في الأَحــوالِ عُسْــرٌ فكلَّمــا
دَنَــوْتَ اســتمر اليُسْــرُ فــارتفع العُسْــرُ
١٠ لَعَمْــري لقــد سَنَّي بــك ا للهُ غَــزْوَةً
قــد افــترَّ عــن ثغــرِ السُّــرورِ لهــا الثَّغْــرُ

ومنها:

إلى غـــزواتٍ مـــن قريـــبٍ تَتَـــابَعَتْ
ففــي كــلِّ قُطْــرٍ مــن ســحائِبِها قَطْــرُ
لقــد أَيْقَنَــتْ هـــذِي الجزيــرةُ أَنهــا
سَـيُجْبِرُها مَــنْ لا يُهــاضُ لــه جَــبْرُ
لَئِــنْ كــان مــاتَ الأَمــنُ في جَنَبَاتِهــا
فَقُــرْبُ أَمــيرِ المؤمنــينَ لــه نَشْــرُ

(٢٦)

[الرمل]

(*) مِلِكٌ تُرْوِيكَ منه شيمةٌ
أَنْسَتِ الظمآنَ زُرْقَ النُّطَفِ

جَمَعَتْ من كلِّ مَجْدٍ فَحَكَتْ
لفظةً قد جُمِعَتْ من أَحْرُفِ

يَعْجَبُ السَّامِعُ من وَصْفِي لها
ووراء العَجْزِ ما لم أَصِفِ

لو أَعارَ السَّهْمَ ما في رأيه
مِنْ سَدادٍ وهُدىً لم يَصِفِ

٥ حِلْمُه الرَّاجِحُ ميزانُ الهُدَى
يَزِنُ الأَشياءَ وَزْنَ الْمُنْصِفِ

(*) في نفح: ج٣، ص٢٤١.

(٢٧)

[الطويل]

(*) لــه حلبــةُ(١) الخَيْــلِ العِتَــاقِ كأَنَّهــا
نشاوَى تهادت تطلُبُ العَزْفَ(٢) والقَصْفـا

عرائِسُ أَغْنَتهـا الحُجُــولُ عــن الحِلــى
فَلَـمْ تبـغِ خَلْخَـالاً ولا التَمَسـتْ وقْفـا

فمــن يَقَــقٍ كـالطِّرْسِ تَحْسَــبُ أَنَّــه
وإن جَـــرَّدُوه في مُلاَءَتـــه التفّـــا

وأَبلـقَ أَعطـى الليـلَ نصـفَ إِهابــه
وغـار عليـه الصُّبـحُ فـاحْتَبَسَ النِّصْفـا

٥ وَوَرْدٍ تغشَّـى جِلْـدَه شـفقُ الدجــى
فـإذ حـازه دلّـى(٣) لــه الذّيـلَ والعُرْفـا

وأَشـقرَ مـجَّ الـرّاحَ صِرْفـا أَديمُـهُ
وأَصفـرَ لم يَمْسَـحْ(٤) بهـا جِلْـدَه صِرْفـا

(*) في الإحاطة، ج٤، ص٤٢٠؛ يتصدرها:
«من شعره يصف الخيل العتاق، من قصيدة في مدح المنصور.» ونفح: ج٣، ص٢٣٩.
(١) الإحاطة: خطت.
(٢) الإحاطة: العرف والقصفة.
(٣) الإحاطة: حلى.
(٤) الإحاطة: يسمح.

وأَشـــهبَ فضـــي الأَدِيـــمِ مُدَنَّـــر
عليـه خُطُـوطٌ غـيرُ مفهومـةٍ حَرْفـا
كمـا خطَّـط الزَّاهـي بمُهْـرَق[1] كـاتِبٍ
فَجَـرَّ[2] عليـه ذيلَـه وهـو مـا جَفَّـا
تَهِـبُّ علـى الأعـداءِ منهـا عواصِـفٌ
سَتَنْسِـفُ[3] أَرْضَ المشـركين بهـا نَسْـفا
١٠ تَـرى كُـلَّ طِـرْفٍ كـالغَزَالِ فَتَمْـتَري
أَظبيًـا[4] تَـرَى تحـت العَجَاجـةِ أم طِرْفـا
وقـد كـان في البيـداءِ يَـأْلَفُ سِـرْبَهُ
فَرَبَّتْـهُ مُهْـرا وهـي تَحْسِـبُه خِشْـفا[5]
تَنَاولَـــهُ لَفْـــظُ الجـــوادِ لأَنـــه
إِذا ما[6] أَرَدْتَ الجريَ أَعْطـي لـه ضِعْفـا

---

(١) المهرق: الصحيفة البيضاء.
(٢) الإحاطة: يجر.
(٣) الإحاطة: تنسف.
(٤) الإحاطة: أطيًا.
(٥) الخشف: ولد الظبية أول ما يولد.
(٦) الإحاطة: متى ما.

(٢٨)

[السريع]

(•) لا تغبِطِ المُجْدِبَ في عِلْمِه
وإن رأيتَ الخِصْبَ في حالِهْ
إنَّ الَّذي ضَيَّعَ مِنْ نفسِه
فوق الَّذي ثَمَّرَ مِنْ مالِهْ

(•) في تكملة الصلة (مخطوطة الأزهر): ١٣٢ ط.، وتأتي بعد القطعة التي أولها:

إن الشدائد قد تغشي الكريم لأن تبين فضل سجاياه وتوضحه

ونفح: ج٤، ص٣٣٦. والحلل السندسية (شكيب أرسلان): ج٣، ص٤٩٨.

(٢٩)

[المديد]

(*) أَتَــراهُ يَــتْرُكُ الغَــزَلا[1] وعليــه شَــبَّ واكْتَهَــلا
كَلِــفٌ بــالغِيدِ مــا عَقَلَــت[2] نفسُــه السُّــلْوانَ مُــذْ عَقَــلا
غَــيْرُ راضٍ عــن سَــجِيَّةِ مَــنْ ذاق طَعْــمَ الحُــبِ ثُــم سَــلا
أَيهــا اللُّــوامُ ويحكُــمُ إنَّ لي عــن لومِكُــم شُــغُلا
٥ ثَقُلَــتْ عــن لومِكُــم أُذُنٌ لم يَجِــدْ فيهــا الهــوى ثُقُــلا
تَسْــمَعُ النَّجــوى وإنْ خَفِيَــتْ وَهْــي ليســت تَسْــمَعُ العَــذَلا
نَظَــرَتْ عَيْنــي لِشِــقْوَتِها نَظَــرَاتٍ وَافقَــتْ أَجَــلا
غَــادةٌ لمــا مَثُلْــتُ لهــا تَرَكَتْنِــي في الهَــوَى مَثَــلا
هــي برّتــني الشَّــبابَ فَقَــدْ صَــار في أَجفانِهــا كَحَــلا
١٠ أَبْطَــلَ الحــقَّ الَّــذي بِيَــدِي سِــحْرُ عينيهــا ومــا بطَــلا
عَرَضْــت[3] دَلاً فــإذ فَطِنَــتْ بِوُلُوعــي أعرضَــتْ خَجَــلا

(*) في وفيات الأعيان: ج٧، ص١٣؛ يتصدرها:
«رجعنا إلى حديث يعقوب:
وكان من شعراء دولته أبو بكر يحيى بن عبد الجليل بن عبد الرحمن من بن مجبر الأندلسي المرسي.
ولقد نظرت في ديوانه فوجدت أكثر مدائحه في الأمير يعقوب، فمن ذلك قوله.» - الأبيات-
وبعدها:
«قلت: وهي قصيدة طويلة، عدد أبياتها مائة وسبعة أبيات، فنقتصر منها على هذا المقدار».
والنص في الوافي بالوفيات، ما عدا البيت ٣١، وهو في فوات الوفيات، ج٤، ص٢٧٥، ما عدا الأبيات الثلاثة الأخيرة؛ وفي زاد المسافر ١-٣، ١٥، ١٦، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٢؛ وفي سير أعلام النبلاء: ١-٣، ٧، ٨، ١٣، ١٩، ٢٢، ٢٥.

(١) سير: العذلا.
(٢) سير وفوات: علقت. زاد: ما التمست.
(٣) فوات: أعرضت.

وبـــدا لي أَنَّهـــا وَجِلَـــتْ ... مـــن هَنَـــاتٍ تَبْعَـــثُ الوَجَـــلا
حَسِـبَتْ[1] أَنـــي ســـأحرِقُها[2] ... إذ رأت رأسِـــي قـــد اشْـــتَعَلا
يـــا سُـــراةَ الحَـــيِّ مِثْلُكُـــمُ ... يَتَلافـــى الحـــادِثَ الجَلَـــلا
١٥ قـــد نَزَلْنـــا في جِوَارِكُـــمُ ... فَشَـــكَرْنا ذلـــك النُّـــزُلا[3]
ثـــم واجَهْنـــا ظِبـــاءَكُمُ ... فَلقِينـــا الهَـــوْلَ والوَهَـــلا
أَضَمِنْتُـــمْ أَمْـــنَ جِـــيرَتِكُمْ ... ثـــم مـــا آمنتـــمُ السُّـــبُلا
وَأَرَدْتُـــمْ غَصْـــبَ أَنفُسِـــهُمْ ... فَبَثَثْتـــم بينهـــا المُقَـــلا
ليتنـــا خُضْنـــا السُّـــيُوفَ[4] ولم ... نلـــقَ تلـــك الأعـــينَ النُّجُـــلا
٢٠ عارَضَتْنـــا منكـــمُ فئـــةٌ ... أحدثَـــتْ في عهدِنـــا دَخَـــلا
ثُعَلِيَّـــاتٌ جُفُونُهـــمُ ... وهـــمُ لم يعرِفـــوا ثُعَـــلا[5]
أَشْـــرَعُوا الأَعْطـــافَ ناعمـــةً[6] ... حـــين أَشْـــرَعْنا القَنَـــا الذُّبُـــلا
واســـتفزَّتنا عُيُونُهـــمُ ... فَخلَعْنـــا البِيـــضَ والأَسَـــلا
ورمتنـــا بالسِّـــهامِ فلـــم ... نَـــرَ إلاّ الحَلْـــيَ والحُلَـــلا
٢٥ نُصِـــروا بالحُسْـــن فـــانتهَبُوا ... كـــلَّ قلـــبٍ بـــالهوى جَـــذِلا[7]
عطَّلَتنـــي الغيـــدُ عـــن جَلَـــدِي ... وأنـــا حَلَّيتُهـــا الغَـــزَلا
حَمَلَـــتْ نفسِـــي علـــى فِتَـــنٍ ... سُـــمْتُها صَـــبْرًا فمـــا احْتَمـــلا
ثُـــمَّ قـــالَتْ[8] ســـوفَ نَتْرُكُهـــا ... سَـــلَبًا للحُـــبِّ أو نَفَـــلا
قلـــت أَمَّـــا وَهْـــيَ قـــد عَلِقَـــتْ[9] ... بأمـــيرِ المؤمنـــينَ فـــلا

(١) سير: خشيت أني.
(٢) فوات: سأحزنها.
(٣) زاد: قد سكنتم في جوارحنا فحمدنا ذلك النزلا.
(٤) زاد: ورمينا بالسيوف ولم. سير: ليتنا نلقى. زاد: فلقينا الهول والهولا.
(٥) ثعليات جفونهم: نسبة إلى بني ثعل، وإلى مهارتهم في الصيد، يشير امرؤ القيس في بيته:

رب رامٍ مـــن بـــني ثعـــل ... متلـــج كفيـــه في قـــتره

(٦) سير: مائلة.
(٧) سير وفوات: بالهوى خدلاً. الوافي: خذلاً.
(٨) سير: ثم قالوا.
(٩) سير: قلت أو ما هي عالقة.

٣٠ مـــا عــدا تأْمِيلُهـــا مَلِكًـــا   مـــــن رآهُ أَدْرَكَ الأَمـــــلا
أَوْدَع الإِحْسَـــانُ صَفْحَتَـــــهُ   مـــاءَ بِشْـــرِ يَنْقَـــعُ الغُلَـــلا
فـــإذا مـــا الجـــودُ حرَّكَـــه   فـــاض مِـــن[1] يُمْنـــاه فـــانهملا

[1] زاد: فاض في. الوافي: زاد في.

(٣٠)

[الكامل]

(*) رَحَلَ الشَّبابُ ومـا سمِعْـتُ بَعْبَرةٍ
تَجْـرِي لمثـل فِـرَاقِ ذاك الرَّاحـلِ

قـد كنـتُ أُزْهَـى بالشَّـبابِ و لم أَخَـلْ
أَن الشـيبةَ كالخِضَـابِ النـاصِلِ

ظِـلٌّ ضفـا لي ثـم زال بسـرعة
يـا ويـح مُغْـتَرٍّ بظِـلٍّ زائِـلِ

إِن شـئتَ ظِـلاًّ لا يـزُول بحالَـةٍ
فـاعْمَدْ إِليـهِ ذي الإِمـامِ العـادِلِ

(*) في الحجب المستورة: ج١، ص١٩٩؛ مسبوقة بـ: «وقال الآخر:

شـيئان لـو بكـت الدمـاء عليهمـا — عينـاي حتـى تؤذنـا بذهـاب
لم تبلغـا المعشـار مـن حقيهمـا — فقـد الشـباب وفرقـة الأحبـاب

وإنما نزع الناظم في ذلك منزع أبي بكر بن مجبر في قوله» – الأبيات –.

(٣١)

[الخفيف]

(*) إنَّ خيرَ الفُتُوحِ ما جاءَ عَفْوًا
مثلما يَخطُبُ الخطيبُ ارتجالا

(*) في الإحاطة: ج٤، ص٤١٨؛ يسبقها حديث عن ابن مجبر: «ومن أثرته لدى ملوك مراكش أنه أنشد يوسف بن عبد المؤمن يهنؤه بفتح من قصيدة: (البيت)، ثم:
«قالوا: وكان أبو العباس الجراوي الأعمى الشاعر حاضرًا، فقطع عليه لحسادة وجدها، فقال: يا سيدنا اهتدم فيه بيت ابن وضاح:

خير شراب ما كان عفوًا كأنه خطبة ارتجال

فبدر المنصور، وهو يومئذ وزير أبيه، وسنه في حدود العشرين من عمره، فقال: إن كان قد اهتدمه فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف. فسر أبوه لجوابه، وعجب منه الحاضرون.»
والخبر في نفح الطيب: ج٣، ص٢٣٧-٢٣٨. وفضلنا قراءة النفح (الخطيب) على قراءة الإحاطة (البليغ) على الرغم من اسبقية الإحاطة.

(٣٢)

[السريع]

(*) أتـــى بـــلا رَحْـــبٍ ولا مِكْنَـــةٍ
وَقْـــعَ العَصَافِـــيرِ علـــى السُّـــنْبُلِ

(*) في عنوان المرقصات والمطربات: ص٤٢؛ مسبوقة بـ:
«له في المرقص قوله:
تـــراه عيـــني وكفـــي لا يباشـــره حتـــى كـــأني في المـــرآة أبصـــره
وقوله...» البيت.

(٣٣)

[المضارع]

(*) إن ســـلَّ ســـيْفًا بِنَاظِرِيْـــهِ
لم تَـــرَ فينـــا إلاّ قتيـــلا

(*) يرد في منهاج البلغاء وسراج الأدباء، لحازم القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، ط. دار الكتب الشرقية بتونس ١٩٦٦، ص٢٣٩؛ مسبوقة بالحديث عن الوزن المضارع وبقوله:
«ومما جاء على أصل الوزن قول بعض الأندلسيين.»
(اللاحق، قافية المترادف)

وحـــي عـــني إن فـــزت حيـــا أمضـــي مواضيهـــم الجفـــون

وقول ابي بكر بن مجير - البيت.
(اللاحق، قافية المترادف)

(٣٤)

[الطويل]

(*) سأشكُو إلى النّدمانِ خمرَ زجاجةٍ ... تردَّت بثوبٍ حالِكِ اللَّونِ أَسْحَمِ

نَصُبُّ بها شمسَ المُدامةِ بيننا ... فتَغْرُبُ في جُنْحٍ من الليلِ مُظْلِمِ

وتجحَدُ أَنوارَ الحُمَيَّا بلونِها ... كقلبِ حسُودٍ جاحدٍ يدَ مُنْعِمِ

(*) في رابات المبرزين: ص١١١؛ يسبقها:
«وأنشد [والدي] له في زجاجة سوداء فيها خمر أحمر.» وفي نفح، ج٣، ص٢٠٦. في معرض المباهاة بقوة بديهة أهل الأندلس؛ يسبقها:
«وهل منكم من حضر مع عدو له جاحد لما فعله معه من الخير، وأمامهما زجاجة سوداء فيها خمر، فقال له الحسود المذكور: إن كنت شاعرًا فقل في هذه، فقال ارتجالاً، وهو ابن مجبر.»

(٣٥)

[البسيط]

(*) رآى العُـدَاةَ ومنهـم مـن دَنـا ونـــآى
فاسْـتَعمل المـاضِيَيْنِ السَّـيفَ والقَلَمـا

فـلا الــذي فَــرَّ منهــم في البــلادِ نجـا
ولا الـذي جـاء يبغِـي حَرْبَـه سَـلِما

(*) في زاد المسافر: ص٥٣.

(٣٦)

[الوافر]

(*) أُسَائِلُكُمْ لِمَنْ جَيْشٌ لُهَامُ ... طلائِعُه الملائِكةُ الكِرَامُ
أَتَتْ كُتْبُ البَشَائِرِ عنه تَتْرَى ... كما يَتَحَمَّلُ الزَّهْرَ الكِمَامُ
تَنِمُّ ولم تُفَضُّ ولا عجيبٌ ... أَيحجبُ نفحةَ البَدْرِ الخِتَامُ
كأنَّ النصرَ أَضحكها ثُغُورا ... فَلِلأَيَّامِ عَنهنَ ابتِسَامُ
٥ ويا للنَّاسِ يَرْغَبُ عن أُناسٍ ... لهم بالدِّين والدُّنيا قِوَامُ
أَمَامَهُمُ إذا سَلَكُوا سبيلاً ... كِتَابُ الله يتْبعُه الإمامُ
يُصاحِبُهُ فيصحبُه الأَماني ... ويَتْبَعُه فَيَتْبَعُهُ الأَنامُ
هُوَ المِلكُ الكريمُ وما أَصَبْنا ... إذا قُلنا هو المَلِكُ الهُمامُ
تُجاذِبُ خَيْلَهُ اليَمَنُ اغتباطًا ... بِعِصْمَتِهِ وتخطُبُه الشَّآمُ
١٠ ويعْطُو المسجِدُ الأَقصى إليه ... ويُشْرِفُ نحوه البَيْتُ الحرامُ

(*) الأبيات من ١-٨، و١٢-١٥، و١٩-٢١ في البيان المغرب (قسم الموحدين)، ص١٩٢، أحداث سنة ٥٨٣هـ؛ يسبقها:
«وفي هذه السنة فتح المنصور بلاد الجريد بأسرها وقضى التطواف فيها قطرًا بعد قطر، وما كان على أربابها البلديين القدماء من الإبقاء، واستئصال من كان فيها من شيع الأشقياء، والقبض على الذين بها من الأغزاز، وإسباغ العفو عليهم وتصييرهم من الأجناد، وما تخلل هذه الأحوال من الحوادث الغريبة والاتفاقات البديعة في مدة هذا التطواف والمحاصرة، إلى انقضاء الإياب إلى تونس، وذلك في شوال من العام. وأكثر الشعراء في هذا الفتح، فقال أبو بكر بن مجبر في فتح الحمة.»
والأبيات ١، ٩-١٤، ١٦-١٨ في الروض المعطار، ص٢٠١ (مادة حمة مطاطة)؛ وكذلك الأبيات ١، ١٣،١٤، ١٦ (مادة عمرة).
وفي الحلل السندسية (لأرسلان)، ج١، ص٣٦٣، البتان ١٣ و١٤؛ يسبقهما:
«وانصرف المنصور إلى قابس فأحاط بها برًا وجوًا (!) إلى أن فتحوا له أبوابها مستسلمين، وفي ذلك يقول أبو بكر بن مجبر من قصيدة طويلة:
والبيتان ١٣ و١٤ في رحلة التجاني، ص١٣٧.

ومنها:

مَضَى مُتَقَلِّدًا سيفَي مَضَاءٍ ... هما الإلهامُ والجيشُ اللُّهام

فسلْ ما حلَّ بالأعْداءِ منه ... وكيف استؤْصِلَ الدَّاءُ العُقَامُ

لقد بَرزَتْ إلى هول[1] المنايا ... وجُوهٌ كان يحجُبُها[2] اللِّثَامُ

وما أَغنتْ قِسِيُّ الغُز عنها ... فليستْ تَدْفَعُ القَدَرَ السهامُ

١٥ غدوا فوقَ الجِيادِ وهم شُخُوصٌ ... وأَمسَوْا بالصَّعِيدِ وهم رِمَامُ

كأَنَّ الحربَ كانت ذاتَ عَقْلٍ ... صحيحٍ لم يحلَّ به السَّقَامُ

فأفنت كلَّ من دمُه حلالٌ ... وأبْقت كلَّ مَنْ دمُه حَرامُ

متى يكُ مِنْ ذوي الكُفْرِ اعتداءٌ ... يَكُنْ مِن فِرْقَةِ التَّقْوى انتِقَامُ

هو الأَمْرُ الرَّضِي طُوبَى لنفسٍ ... يكون لها بِعِصْمَتِه اعْتِصامُ

٢٠ حياةُ الدين دولتُهُ فَدامتْ ... لأمرٍ قد أُتيحَ له الدَّوامُ

سلامُ اللهِ من قُرْبٍ وبُعْدٍ ... عليه وحُبُّ مَنْ نَزَلَ السَّلامُ

---

[1] البيان: هون.

[2] التجاني: كان حجبها.

(٣٧)

[الكامل]

(*) جَلَّ الأَسَى فأَسِلْ دَمَ الأَجْفَانِ
ماذا الشؤونُ لِغيرِ هذا الشانِ

(*) وفيات: ج٧، ص١٣٣؛ يتصدرها:
«ولما مات أبو يعقوب المذكور [يوسف بن عبد المؤمن، ملك الموحدين]، رثاه الأديب أبو بكر يحيى بن مجبر... بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأولها.
وهو في نفح، ج٤، ص٣٨٠؛ يتصدرها:
«ولما مات يوسف قام بالأمر بعده ابنه الشهير أمير المؤمنين يعقوب المنصور... فقام بالأمر أحسن قيام، ولما مات يوسف المذكور رثاه أديب الأندلس أبو بكر يحيى بن مجبر بقصيدة طويلة أجاد فيها، وأولها...»

(٣٨)

[الكامل]

(*) أشكو لِذِي الإحسانِ عَبْدِ المُحْسِنِ
فَلَعلَّهُ يرْثِي لِما قَدْ مسَّني

إنِّي شُغِفْتُ بدَلِّهِ ودَلالِهِ
وبِحُسْنِ منظَرِهِ وإن لم يُحْسِنِ

ظَبيٌ غَرِيرُ الحُسْنِ طَرَّز خدَّه
بالجُلَّنارِ وغضِّ نَوْرِ السَّوسنِ

رِيمٌ حوى ظَرْفًا وحُسنًا جامعًا
نَطَقَتْ بما يَجْزِي[1] جميعُ الألسُنِ

٥ فعساه يَرْحمُ لَوْعَتي وصَبابتي
ويسيرُ بالإحسانِ عَبْدُ المُحسنِ

(*) في أعلام مالقة: ص٨٦، وما بعدها. حديث عن عبد المحسن بن علي بن عبد الله الأنصاري، يعرف بابن أبي خرص، ويوصف بأنه كان من طلبة مالقة وأدبائها، ذكيًا، فطِنًا، لوذعيًا، وكان جميل الصورة؛ ولأدباء مالقة فيه أشعار. وللفقيه أبي عبد الله الجوني مقامات سماها بالمقامات المحسنية، وجمع فيها ما للشعراء فيه من الأبيات، وتضمين اسمه في آخر كل بيت منها. واسم الشاعر في النص: للفقيه أبي بكر بحير.
والأبيات في مختارات... لم يسبق نشرها، ص٢٣٦؛ وفيها أنها جاءت ضمن «المقامة الحسنية»، على اعتبار أنها قيلت في الحسن بن علي بن عبد الله... ولا شك أن رواية «علماء مالقة» أدق.

(1) مختارات: بما يحوي.

(٣٩)

[البسيط]

(*) ليت الشبابَ الذي ولّت نضارَتُهُ
أَعطانِيَ الحِلم فيما كان أَعْطَانِي
فلم تَكُنْ مِنَّةٌ للشَّيبِ أَحْمِلُها
ولم يكُنْ مِنْ سُروري بعضُ أَحْزَانِي

(*) زاد المسافر: ص٥٥.

(٤٠)

[الطويل]

[*] وأَغيدَ من أَبناءِ لحظةَ شادِن
يَنُوء كما يَعْطو بِخُوْطَتِهِ[1] البانُ
ذؤابتُه مِهْرَاقةٌ خَلْف ظهرِهِ
كما التفَّ بالغُصْنِ المُنعَّمِ ثُعْبانُ

---

[*] السحر والشعر: ص٦٠.
[1] الخوط: الغصن الناعم.

(٤١)

[الوافر]

(•) وبِكْرٍ من بناتِ الدَّوحِ حُبْلَى
مَلأتُ يدِي بها وملأتُ عَيْنِي[1]
متى تفتضَّها[2] وَلَدَتْ ولكنْ
بكيِّ النارِ أو كدِّ اليَدَيْنِ
لها في كلِّ جارحةٍ جَنينٌ
وأكثرُ ما تجيءُ بِتَوْأَمينِ

(•) في السحر والشعر: ص١٣٥؛ يتصدرها: «وقول أبي بكر بن مجبر في صنوبرة.»
(١) الأصل: عين.
(٢) الأصل: متى تقتضها.

(٤٢)

[البسيط]

(*) لا ذنب للطِّرف[1] إن زلَّتْ قوائِمُهُ
وَهَضْبَةُ الحِلْم إبراهيمُ يُزْجيها
وكيفَ يَحْمِلُهُ طِرْفٌ وخَرْدَلَةٌ
من حِلمهِ تَزِنُ الدُّنيا وما فيها

(*) في تحفة القادم: ص٩١؛ في ثنايا ما أورد من منتخبات لابن صاحب الصلاة، مسبوقة بأبيات لابن صاحب الصلاة في ابن صعد، وقد كبت به بغلة، أولها:

إن تكب في السير بنت العير بالملك ... فليس يُدركها في ذاك من درك

وقال إن هذا المعنى مأخوذ من قول ابن المعتز في رئيس سقط عن بغل:

لا ذنب عندي لابن العير يوم وهت ... قواه من خور فيها ومن لين

ثم أردف أبيات ابن المعتز بـ: «وللشعراء في هذا أبيات نادرة، وهو من تحسين القبيح، منها قول أبي بكر ابن مجبر.»

[1] الطِرف: الكريم من الخيل.

(٤٣)

[المتقارب]

(*) أَلاَ مَقَــتَ اللهُ سَــعْيَ الحريــصِ
فمــا جــازَه الــذَّمُّ إلاّ إليــهِ

يُسَــرُّ بمــا في يــدَيْ غــيرِهِ
وَيَنسَــى السُّــرورَ بمــا في يَدَيْــهِ

(*) في زاد المسافر: ص٥٥.

موشحة
لابن بحبر الأندلسي

موشحة تنشر لأول مرة

[مخلع البسيط]

(*) يا قلبُ ما للهوى ومالكْ ومـا لِمَـنْ لامـني ومـالي

أسـرفتَ يـا قلـبُ في هَوَاكـا
فـاجنحْ إلى سـلْوةِ صِباكـا
تنـال مـن أَسْـرِه فَكَاكـا
وأَنْـتَ يـا عـاذلي[1] كفاكـا

لـو أَنَّ حـالي يكـونُ حـالَكْ علِمْـتَ مـا حُمِّـلَ احْتِمـالي

يـا مـن أَحـالَ البِعـادُ عهـدَهْ
فـزِدْت لينـا إذ زدْتَ شِـدَّهْ[2]
أمـا كفـاك أَنْ صِـرْتُ عبْـدَهْ
وسِـرْتُ عنـهُ والقَلـبُ عنـدهْ

يـا نـاكِثَ العَهْـدِ مـا أَحـالَكْ إلاّ بعَـادٌ أَحـالَ حـالي

(*) في سجع الورق: ورقة ١٣٨ ظ.
وهذه الموشحة كتبت على غرار موشحة الأعمى التطيلي التي تبدأ بـ:
يـا نـازح الـدار سـل خيـالك ينبيـك أن صـرت كالخيـال
وتأتي في توشيع التوشيح للصفدي، ص١١٢.
والدور الأخير والخرجة عند التطيلي:
لمـا اجتليـت الزمـان قربـه
ضمّـن بعـض الحديـث عتبـه
إذ ظـن أنـي سـلوت حبـه
غنيتـه أسـتميل قلبـه
علـك حبيـي... خطـر ببـالك أنـي بغـيرك شـغلت بـالي
أما موشحة ابن مجبر فإنها لا ترد – فيما نعلم – في كل المجاميع المطبوعة.
[1] في الأصل: يا عادلي.
[2] في الأصل: فردت لينا إذ ردت رشده.

يـــا ظـبـيُ مـــا راعَنِـــي ورَاعَـــكْ
إلاّ هـــوى ســـبَّبَ امتنـــاعَكْ
والقلـــبُ يـــأبى إلاّ اتّبـــاعكْ
فقـــد عصـــاني وقـــد أطـــاعَكْ

يَكْفِيكَ يَكْفِيكَ أَنْ صَفَا لَكْ بـالوُدِّ قلـبي ومـا صَفـا لي

سِـحْرٌ بعيْنَيْـكَ[1] يـــا مُحَمَّـــدْ
ارْعَ ذِمَامَـــا[2] لنـــا تـــأكّدْ
وعُـــدْ إليـــه والعَـــوْدُ أَحْمَـــدْ
فـــإنَّ للمَـــرْءِ مـــا تَعَـــوَّدْ

وكنـــتَ عوَّدتـــني وِصَـــالَكْ فعُـــدْ إلى ذلـــك الوِصـــالِ

مـــا ضـــرَّ أَنْ لـــو لَثَمْـــتُ فـــاهْ
مَـــنْ سـامَنِي الخَسْـفَ في هَـــوَاهْ
فقلـــتُ كيـــلا أَعْـــدُو رِضَـــاهْ

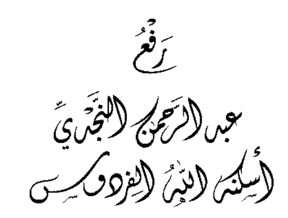
عـــلّ حبيـبي وَقَـــعْ ببـــالَكْ أَنّ بِغَـــيركْ شَـــغَلْت بَـــالي

---

(1) في الأصل: بعينك.
(2) في الأصل: دماما.

الفهارس العامة

فهرست الآيات الكريمة



فهرست الأعلام والطوائف والأمم

فهرست المواضع

فهرست الشعر والموشح

فهرست الشعر

فهرست الشعر

فهرست الشعر	عدد الأبيات	الصفحة
٣١) إن خير الفتوح ما كان عفوًا / مثلما يخطب الخطيبُ ارتجالا	١	١١٦
٣٢) أتى بلا رحب ولا مكنة / وقع العصافير على السنبل	١	١١٧
٣٣) إن سل سيفًا بناظريه / لم تر فينا إلاّ قتيلا	١	١١٨

الميم

٣٤) سأشكو إلى الندمان خمر زجاجة / تردت بثوب حالك اللون أسحم	٣	١١٩
٣٥) رآى العداة ومنهم من دنا ونآى / فاستعمل الماضيين السيف والقلما	٢	١٢٠
٣٦) أسائلكم لمن جيش لهام / طلائعه الملائكة الكرام	٢١	١٢١

النون

٣٧) جل الأسى فأسل دم الأجفان / ماء الشؤون لغير هذا الشان	١	١٢٣
٣٨) أشكو لذى الإحسان عبد المحسن / فلعله يرثى لما قد مسني	٥	١٢٤
٣٩) ليت الشباب الذي ولت نضارته / أعطاني الحلم فيما كان أعطاني	٢	١٢٥
٤٠) وأغيد من أبناء لحظة شادن / ينوء كما يعطو بخوطته البان	٢	١٢٦
٤١) وبكر من بنات الدوح حبلى / ملأت يدي بها وملأت عيني	٣	١٢٧

فهرست الشعر

فهرست الموشحات

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر المخطوطة

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، مخطوطة الأزهر.

ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار، قسم المغرب والأندلس، مخطوطة باريس.

السخاوي (؟)، سجع الورق المنتحبة في جميع الموشحات المنتخبة، مخطوطة السليمانية.

الصفدي، الوافي بالوفيات، مخطوطة الـ British Library، مصورة بالمعهد الألماني للدراسات الشرقية، بيروت.

مجهول، الروضة الغناء في محاسن الغناء، مخطوطة الخزانة العامة بالرباط.

مجهول، الكواكب السبع السيارة، (مجموعة موشحات)، الخزانة الظاهرية بدمشق.

النواجي، عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال، مخطوطة الأسكوريال.

ثانيا: المصادر المطبوعة

ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، طبعة كوديرا، مدريد.

ابن الأبار، تحفة القادم، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٨٦.

ابن الأبار، الحلة السيراء، تحقيق د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣.

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مصورة من ط. القاهرة.

ابن بسام (الشنتريني)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت.

ابن بشرى، عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس، تحقيق د. ألان جونس، اكسفورد.

ابن بشكوال، كتاب الصلة، ط. القاهرة ١٩٦٦.

ابن تومرت، كتاب محمد بن تومرت، أو كتاب أعز ما يطلب، الجزائر ١٩٠٣.

ابن خاتمة، ديوان، تحقيق د. محمد رضوان الداية، بيروت ١٩٧٢.

ابن خاقان (الفتح)، قلائد العقيان في محاسن الأعيان، ط. تونس ١٩٦٦.

ابن خاقان (الفتح)، مطمح الأنفس، ط. محمد علي شوابكة.

ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٧٣.

ابن الخطيب (أعمال الأعلام)، (تاريخ أسبانيا الإسلامية)، تحقيق د. بروفنسال، بيروت ١٩٥٦.

ابن الخطيب (لسان الدين)، جيش التوشيح، تحقيق هلال ناجي ومحمد ماضور، تونس ١٩٦٧.

ابن الخطيب (لسان الدين)، ريحانة الكتاب، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة ١٩٨١.

ابن الخطيب (لسان الدين)، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، القاهرة، لات.

ابن الخطيب (لسان الدين)، معيار الاختيار، تحقيق محمد كمال شبانة، ط. المغرب ١٩٧٦، (وراجع النص في مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، نشر د. أحمد مختار العبادي، الإسكندرية ١٩٨٣).

ابن الخطيب (لسان الدين)، السحر والشعر، تحقيق فيرير، مدريد ١٩٨١.

ابن خفاجة، ديوان، تحقيق د. سيد مصطفى غازي، الإسكندرية.

ابن خلدون، المقدمة، (ط. علي عبد الواحد وافي)، القاهرة.

ابن خلدون، التاريخ: العبر وديوان المبتدأ والخبر، مصورة عن ط. بولاق بالقاهرة.

ابن خلكان، وفيات الأعيان، ط. إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨، ط. القاهرة، نشر محمد محيي الدين عبد الحميد.

ابن خميس (أبو بكر) وأبو عبد الله بن عسكر، أعلام مالقة، تقديم وتخريج وتعليق د. عبد الله المرابط التسرغي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٩.

ابن دحية، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الإيياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي، القاهرة ١٩٥٤.

ابن دراج القسطلي، ديوان، تحقيق د. محمود علي مكي، دمشق.

ابن الزقاق البلنسي، ديوان، ط. عفيفة دويراني، بيروت ١٩٦٥.

ابن زيدون، ديوان، ط. علي عبد العظيم، القاهرة ١٩٥٧.

ابن سعيد المغربي، رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضي، القاهرة ١٩٧٣.

ابن سعيد المغربي، عنوان المرقصات والمطربات، ط. الجزائر.

ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، قسم الأندلس، تحقيق د. شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٤.

ابن سعيد المغربي، المغرب، القسم الصقلي، تحقيق د. محمد زكريا عناني، الإسكندرية ١٩٨٦.

ابن سعيد المغربي، المقتطف من أزاهر الطرف، تحقيق د. سيد حنفي، القاهرة.

ابن سناء الملك، دار الطراز، تحقيق د. جودت الركابي، دمشق ١٩٤٩.

ابن سهل الإشبيلي، ديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت.

ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٧٣.

ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، السفر الثاني، تحقيق عبد الهادي التازي، ط. أولى، بيروت ١٣٨٣هـ، ١٩٦٤م.

ابن عسكر، انظر أبو بكر بن خميس.

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مصورة عن ط. القاهرة.

ابن القطان، نظم الجمان، تحقيق د. محمود علي مكي، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٠.

ابن هانئ الأندلسي، ديوان، تحقيق د. زاهد علي، القاهرة.

أبو بكر الصنهاجي، أنظر: البيذق.

الأصفهاني (عماد الدين)، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم المغرب والأندلس، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، القاهرة.

امرابط (محمد)، الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان، (نشر منسوبًا لأبي مدين شعيب)، تحقيق د. عبد الحميد حاجيات، الجزائر ١٩٧٤.

البغدادي (إسماعيل باشا)، الذيل على كشف الظنون: هدية العارفين.

البيذق (أبو بكر الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين، نشر ل. بروفنسال، باريس ١٩٢٨.

التجاني (أبو محمد عبد الله)، رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، تونس ١٩٥٨.

التجيبي (صفوان بن إدريس)، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، بيروت ١٩٨٠.

التطيلي (أبو جعفر أحمد)، ديوان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت.

الجراوي، الحماسة المغربية، تحقيق د. رضوان الداية، بيروت - دمشق ١٩٩١.

الجزار السرقسطي (أبو بكر يحيى بن محمد)، ديوان روضة المحاسن وعدة المحاسن، تحقيق د. منجد مصطفى بهجت، بغداد ١٩٨٨.

حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ط. طهران ١٣٨٧هـ.

الحلي (صفي الدين)، العاطل الحالي والمرخص الغالي، نشر هونرباخ، ويسبادن ١٩٥٥.

الحميري (عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت ١٩٨٠.

الحايك، الكناش، ط. المغرب المصورة.

الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق د. بشار عواد معروف ود. محيي الدين السرحان، بيروت ١٩٨٤.

الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣.

الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تونس ١٢٨٩هـ.

السراج (الوزير محمد بن محمد الأندلسي)، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، بيروت ١٩٨٥.

الششتري (أبو الحسن)، ديوان، تحقيق د. علي سامي النشار، الإسكندرية ١٩٦٠.

الصفدي (صلاح الدين)، الوافي بالوفيات، الأجزاء المطبوعة، بتحقيق ريتر وآخرين، ط. بيروت.

الصفدي (صلاح الدين)، توشيع التوشيح، ط. ألبير حبيب مطلق، بيروت.

صفي الدين الحلي، انظر الحلي.

صفوان بن إدريس التجيبي، انظر التجيبي.

الضبي (ابن عميرة)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، القاهرة ١٩٦٧.

الغبريني، عنوان الدراية في علماء بجاية، تحقيق عادل نويهض، بيروت ١٩٦٩.

الغرناطي (الشريف)، رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة، القاهرة ١٣٤٤هـ.

القرطاجني (حازم)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس ١٩٦٦.

مجهول، مختارات من الشعر المغربي والأندلسي، تحقيق إبراهيم بن مراد، بيروت ١٩٨٦.

مجهول، العذارى المائسات في الأزجال والموشحات، ط. فيليب فعدان الخازن، جونية ١٩٠٢؛ وطبعة د. محمد زكريا عناني (تحت الطبع).

مجهول، كتاب الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه د. سهيل زكار، م. عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء ١٩٧٩.

مجموع رسائل موحدية، نشر ل. بروفنسال، الرباط ١٩٤١.

المراكشي (ابن عذاري)، البيان المغرب في اخبار ملوك الأندلس والمغرب (قسم الموحدين)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر وعبد القادر رزنامة، بيروت

١٩٨٥.

المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة ١٣٣٢هـ.

المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت؛ وطبعة محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.

المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا، والإبياري وشلبي، القاهرة ١٩٣٩-١٩٤٢؛ والأجزاء المطبوعة بالمغرب.

النواجي (شمس الدين)، عقود اللآل في الموشحات والأزجال، ط. بغداد.

النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط. دار الكتب المصرية.

ياقوت الحموي، معجم الأدباء (إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب)، ط. دار المأمون بالقاهرة.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط. بيروت.

ثالثاً: المراجع

أرسلان (شكيب)، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مصورة عن طبعة القاهرة ١٩٣٩.

الأهواني (د. عبد العزيز)، ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، القاهرة.

الأهواني (د. عبد العزيز)، الزجل في الأندلس، القاهرة.

الأوسي (د. حكمت)، الشعر في عصر الموحدين، القاهرة.

الجراري (د. عباس)، موشحات مغربية، الدار البيضاء ١٩٧٣.

الجراري (د. عباس)، القصيدة (الزجل في المغرب)، الرباط ١٩٧٠.

الرقب (شفيق محمد)، شعر الجهاد في عصر الموحدين، عمان ١٩٨٤.

الركابي (د. جودت)، في الأدب الأندلسي، القاهرة.

الريسوني (محمد المنتصر)، الشعر النسوي في الأندلس، بيروت ١٩٧٨.

الرزقي (الصادق)، الأغاني التونسية، تونس ١٩٦٧.

الزركلي (خير الدين)، الأعلام، الطبعة الخامسة، بيروت ١٩٧٩.

الشكعة (د. مصطفى)، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، بيروت ١٩٧٤.

ضيف (د. شوقي)، تاريخ الأدب العربي: الأدب الأندلسي، القاهرة.

الطنجي (محمد تاويت)، الأدب المغربي، القاهرة ١٩٥٥.

عباس (د. إحسان)، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، بيروت.

عتيق (د. عبد العزيز)، تاريخ الأدب الأندلسي، بيروت.

عنان (محمد عبد الله)، عصر المرابطين والموحدين، القاهرة.

عناني (د. محمد زكريا)، الموشحات الأندلسية، الكويت ١٩٨٠.

عناني (د. محمد زكريا)، مدخل لدراسة الموشحات والأزجال، الإسكندرية ١٩٨٢.

عناني (د. محمد زكريا)، قراءات نقدية في المكتبة العربية، الإسكندرية ١٩٨٢.

عناني (د. محمد زكريا)، دراسات في الشعر الأندلسي والوسيط، الإسكندرية ١٩٨٥.

عناني (د. محمد زكريا)، النصوص الصقلية، الإسكندرية ١٩٨٢.

عناني (د. محمد زكريا)، ديوان الموشحات الأندلسية، الإسكندرية ١٩٨٢.

غازي (د. سيد مصطفى)، ديوان الموشحات الأندلسية، الإسكندرية ١٩٧٩.

غازي (د. سيد مصطفى)، في أصول التوشيح، الإسكندرية ١٩٧٦.

غومس (إيميليو جارسيا)، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ترجمة د. الطاهر أحمد مكي، القاهرة ١٩٧٤.

غومس (إيميليو جارسيا)، الشعر الأندلسي، ترجمة د. حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٩.

فروخ (د. عمر)، تاريخ الأدب العربي، بيروت.

كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين، بيروت.

كراتشكوفسكي، الشعر العربي في الأندلس، القاهرة ١٩٧١.

كنون (عبد الله)، النبوغ العربي في الأدب العربي، بيروت ١٩٧٥.

الكريم (د. مصطفى عوض)، فن التوشيح، بيروت ١٩٥٩.

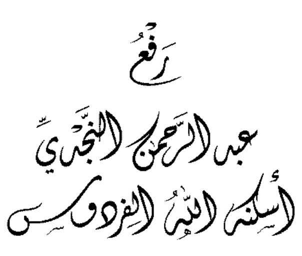
كيلاني (كامل)، نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي، القاهرة ١٩٢٤.

مؤنس (د. حسين)، رحلة الأندلس، ط. الدار السعودية بجدة.

هيكل (د. أحمد)، الأدب الأندلسي، الطبعة التاسعة، القاهرة ١٩٨٥.

يافيل، مجموع الأغاني من كلام أهل الأندلس، الجزائر ١٩٠٤.

يلس (جلول) والحفناوي (امقران)، الموشحات والأزجال، الجزائر ١٩٧٢.



الفهرست

pensando que idolatro a otro,
digo, por no perder su beneplácito:
"Tal vez, amado, se te ha ocurrido
que en otro ocupo mi pensamiento."

Muwaššaha andalusí inédita de Ibn Muġbar de Murcia[24]

0 Corazón, ¿qué tienes que ver con el amor?
Y yo, ¿qué tengo que ver con quien me censura?

1 En tu amor, corazón, te has excedido;
procura olvidar esa pasión,
y de ella hallarás liberación,
y a ti, censor[25], ya te basta,
que si fuera tu caso como el mío,
ya sabrías cuánto he soportado.

2 Tú, cuyo pacto la distancia ha trastornado,
ablandándote, cuando ella aumentaba[26],
¿no le basta el haberte hecho su esclavo,
y que te apartaras, dejándole el corazón?
Violador del pacto, te ha cambiado
el alejamiento que cambió mi estado.

3 Gacela, a ti y a mí ha sorprendido,
la pasión que ha causado tu rechazo,
mas no quiere el corazón sino seguirte,
a mí rebelde, a ti obediente,
y bien debe bastarte que a ti entregue
puro amor mi corazón y a mi lo niegue.

4 Magia en tus ojos[27] hay, oh Muḥammad,
guárdanos la fe[28] y sé firme,
vuelve a ella que es mejor tornar,
pues al hombre place su costumbre,
y tú me acostumbraste a tu presencia.

5 Vuelve a esa compañía:
¿Qué importaría que besara su boca?
A quien me impone en su pasión vergüenza,

24. En la primera parte del ms. de *Saǧʿ alwurq*, fol. 138 ẓ.

25. Corrección del editor, por ms. >yā ʿādilī<.

26. Ms. "y buscaste suavidad, cuando él su cordura".

27. Ms. "en su ojo".

28. Ms. >dimāman<, que debe corregirse. El texto sigue la *muwaššaḥa* del Ciego de Tudela, según *Tawšīʿ attawšīḥ* de Aṣṣafadī, p. 121, cuya última estrofa y *ḫarǧa* son:

Tras verle largo tiempo cabe mí,
en su charla mezcló algún reproche,
pensando que olvidaba su amor,
y canté, por ganar su corazón:
"Amado, tal vez hayas pensado
que yo tenga la mente puesta en otro.

Con ello consigue expresar los múltiples pensamientos que giran en torno al destino del hombre, el designio divino, la vida y la muerte, todo ello a través de una hechura poética que exprime conceptos y almacena experiencias para verterlos, dóciles y espontáneos, en el verso que habla de una cierta cuestión, pero cuyo sentido escapa a la esclavitud del detalle aislado para expresar la situación humana, atravesando los límites del tiempo, lugar y circunstancia.

Llegamos finalmente a la *muwaššaḥa* de Ibn Muğbar que comienza:

> Corazón, ¿qué tienes que ver con la pasión,
> y qué tengo yo que ver con quien me censura?

Debemos hacer notar que sólo la contiene el manuscrito único *Sağʿ alwurq almuntaḫiba fī ğamʿ almuwaššaḥāt almuntaḫaba*, conservado en Estambul, en el que no hay otros textos de Ibn Muğbar del mismo tipo, así como no hemos hallado ninguna referencia a éste en ninguna obra andalusí o de otra procedencia que hemos podido examinar, ni en las colecciones poéticas, especialmente de *muwaššaḥāt*, por lo que no extraña la ausencia de referencias a dicho poema en estudios contemporáneos como *Fann attawšīḥ* de Muṣṭafà ʿAwaḍ Alkarīm, *Fī uṣūl attawšīḥ* de Muṣṭafà Gāzī, *Almuwaššaḥāt al'andalusiyya* de Salīm Alḥulw, etc., así como en colecciones modernas[22].

La *muwaššaḥa* de Ibn Muğbar está elaborada según el modelo de otra famosa del Ciego de Tudela, que comienza:

> Tú que dejaste la casa, pregunta a tu sombra,
> y te dirá que yo me he vuelto cual sombra.

Además, para concluir su *muwaššaḥa*, tomó, con ligera alteración, la *ḫarğa* de la del Ciego, en dialecto, según práctica habitual entre los andalusíes y los orientales que los imitaron, según dice Ibn Sanā' Almulk en la introducción de su obra, *Dār aṭṭirāz*: "Los posteriores, siendo incapaces de hacer una *ḫarğa*, toman la de otros, lo que es más sensato que, no acertando a hacerla, ponerle *iʿrāb*, y fingir altura con pesadez, en lugar de utilizar el dialecto con ligereza[23].

22. De las que son las más importantes *Dīwān almuwaššaḥāt al'andalusiyya* del Dr. Sayyid Gāzī, en dos grandes volúmenes (Alejandría 1979), gran trabajo al que agregamos, como complemento que contiene textos publicados por primera vez, nuestra obra en dos volúmenes, *Dīwān almuwaššaḥāt al'andalusiyya* (Alejandría 1983), aunque sin referencia a este texto de Ibn Muğbar.

23. Ed. Dr. Ğawdat Arrikābī, Damasco 1980, p. 44. V. también nuestra obra, *Dīwān almuwaššaḥāt al'andalusiyya*, en la colección ʿAlam almaʿrifa, Kuwayt 1980, p. 283.

ni me dieron alegría algunos de mis pesares[19].

Almaqqarī lo tuvo por digno de que los occidentales se ufanaran de él ante los orientales, citando diversas improvisaciones suyas y su pericia en la descripción, particularmente la de la *maqṣūra* de la mezquita aljama de Marrākuš, construída según un hábil diseño de ingeniería por el que albergaba al califa y sus visires durante la plegaria, pero desaparecía cuando se marchaban.

La verdad es que las habilidades de Ibn Muğbar excedían todo cómputo, como lo prueba su casida en elogio de Yūsuf b. ʿAbdalmu'min, donde dice:

> La mejor de las victorias es la que surge espontánea,
> como cuando el orador improvisa en su discurso.[20]

en cuyo segundo hemistiquio instila inigualable vivacidad aludiendo a algo ordinario muy frecuente en la vida cuotidiana, y lo mismo puede decirse de su verso acerca de la necesidad de la suavidad al hacer reproches al amigo:

> Hazle reproches, pero suaves,
> como cuando, jugando, muerdes a un niño.

Su lengua se deshace en suavidad cuando aborda situaciones amatorias, explayándose entonces musicalmente en brillantes imágenes, como cuando dice:

> Visitante, cuando la noche echa su velo,
> ¿cómo pueden los velos ocultar la luna?
> Cayó la casta toca de su mejilla:
> ¡Qué hermosura la del capullo que se abre en flor![21]

No son fútiles la pregunta del segundo hemistiquio ni la forma admirativa del segundo verso, y lo mismo puede decirse de su tono de protesta cuando dice, refiriéndose a la pérdida de algunos hombres de estado, desaparecidos en el mar:

> La muerte que en el mar los arrebató,
> se llevó en casa a ʿUṯmān, el de las dos luces.

19. V. *Zād almusāfir*, 55.
20. V. *Nafḥ aṭṭīb*, III, 238.
21. V. *Zād almusāfir*, 55.

Lo meto en aguadas azules,
y sale conmigo hasta del agua limpia,
y, si le silbo para que beba, dice: "Alto,
¿cómo beber, aun con silbidos, con tripa vacía?
Sintió una caravana de camellos, y al verlos,
fue a pacer en sus boñigas
y quiso exultante irse a ellos,
mas impidióle andar la flaqueza.

Ibn Muğbar parece haber sido un apasionado de las descripciones de caballos, habiendo en el *Nafḥ aṭṭīb* de Almaqqarī doce versos suyos en que retrata los caballos del califa almohade con sus distintos colores y briosas arrancadas:

Cada corcel parece cual gacela, y dudas
si es antílope o corcel bajo la polvareda,
que en la estepa amaba su manada,
criado potro aunque creído cervato,
mas el nombre de corcel le es propio,
pues si quieres correr, él largo[16] lo hace[17].

Así describe su miseria en un hermoso fragmento:

¡Cuántas dicen al verme
sufrir sequía en el prado fértil!:
"¿No se apiada el alfaquí al que te quejas
como lo hace el enfermo al médico,
cuando pasa el elogio por su cuello
como céfiro por la rama?"
Y yo digo: "Bien sé loar y dar gracias,
pero no trocar los corazones[18].

También tiene Ibn Muğbar composiciones sapienciales en las que expresa conceptos mediante imágenes sencillas y expresivas tomadas de la vida real, como cuando dice:

Ojalá la juventud. cuya lozanía partió,
me hubiese dado entre otras cosas cordura,
mas no fue don que pudiera llevar a las canas,

16. Juego de palabras intraducible debido a que /ğawād/ significa "corcel" y "generoso" (N.T.).
17. Ed. Iḥsān ʿAbbās, III, 239.
18. En *Zād almusāfir*, 54.

el talle de blancas beldades y se abrazaron a aquéllas[13].

Tiene también otros textos en alabanza del califa Ya'qūb o de algunos príncipes de la dinastía almohade, sin conexión con magnos acontecimientos, como alguna felicitación por convalecencia y cosas parecidas, pero de ello no debemos colegir que la personalidad de nuestro poeta fuera absorbida por el ámbito del mero seguimiento de los acontecimientos y producción de versos laudatorios, pues en muchos pasajes incluso de sus panegíricos advertimos fluye el rasgo personal, diáfano y ardiente, como cuando dice:

> ¿Crees que dejará el reproche
> en el que ha crecido y madurado?
> Quien ama a las bellas no tiene
> en su espíritu consuelo desde que razona,
> ni le place natura de quien,
> habiendo gustado del amor, olvida:
> mis ojos para su desgracia lanzaron
> miradas equivalentes a muerte,
> pues la hermosa, cuando estuve ante ella,
> hizo de mí de amor escarmiento.

Es un hermoso poema del que Ibn Ḫallikān ha conservado 32 versos, algunos también citados por Aḏḏahabī en *Siyar a'lām annubalā'*, por Ṣafwān en *Zād almusāfir*, por Ibn Šākir en *Fawāt alwafayāt*, etc., siendo, pues, la más famosa casida de Ibn Muġbar, de un carácter amatorio con ritmo de danza y pletórico de sencillez y fuerza emotiva.

Otra de sus más hermosas casidas es la que dice:

> Pediré a un grande algo pequeño,
> suplicaré de Ṯabīr[14] un guijarro[15].

En ella habla de su miseria, soledad y extrañamiento, y describe su corcel, extenuado y escuálido por el hambre y las largas marchas por distintos países:

> La excusa de viajar es manifiesta,
> no necesito revelarla:
> veo cómo escasea la blanca,
> y ¿cómo ha de llevarme [mi caballo] con la tripa hambrienta,
> si cuando escucha el relincho de un corcel,
> contesta aullando y suspirando?

13. V. *Arrawḍ almi'ṭār*, 343.
14. Montaña en las inmediaciones de La Meca (N.T.).
15. V. *Zād almusāfir*, 52.

pero en tiempos de Ya'qūb b. 'Abdalmu'min, Ibn Gāniya había conseguido apoderarse de Bugía, Milyāna, Māzūna, Alqal'a. Tūzar y Gafsa, haciéndose fuerte su posición tras la derrota de las tropas almohades en la batalla de 'Amra, si bien la salida de Ya'qūb b. 'Abdalmu'min al frente de sus fuerzas y su triunfo en Ḥammat Maṭmāṭa puso coto a las ambiciones de Ibn Gāniya. Gafsa, sometida a duro asedio y bombardeada con catapultas se rindió tras matanzas, incendios y prolongada destrucción, acerca de lo cual dice Ibn Muğbar:

Engañó a Gafsa que, habiendo delinquido,
no la reprendiesen benévolas gentes:
No pensaba que visitara su suelo la orden divina,
y que no hubiera en ella gente para dar bienvenida.

Ibn Muğbar cantó también la reconquista por Ya'qūb b. 'Abdalmu'min de la ciudad de Silves, sitiada por Sancho I de Portugal y entregada por su población por miedo a la derrota. Las noticias de esta rendición enardecieron, al llegarle, a Ya'qūb b. 'Abdalmu'min, quien salió de Marrākuš en 585 h., fue a Rabat donde esperó la congregación de sus tropas y se dirigió luego por mar desde Qaṣr Maṣmūda a Tarifa, siéndole confiados los estandartes en la mezquita aljama de Córdoba, tema sobre el que dijo Ibn Muğbar:

¡Albricias! Éste es pendón pocas veces confiado
sin que el fiel Espíritu le tendiera mano,
y viniese el triunfo siguiendo su marcha
y dirigiéndose adonde sus estandartes:
los presagios triunfales lo reciben,
y parece tener en los hombros melenas.[12]

Y fue efectivamente heraldo de victoria, pues los ejércitos almohades rodearon la ciudad, la sometieron a estrecho sitio con catapultas y duros ataques, hasta que los cristianos capitularon para entregar la ciudad a los musulmanes. Silves fue recuperada en 585 h., ocasión en la que compuso Ibn Muğbar la casida a que pertenecen estos versos:

Llamó el ansia a mi corazón, las monturas y jinetes,
y acudieron todos, pero él primero:
ebrios íbamos de nuestros sentimientos,
tomando el afecto por copa, y él a nosotros, por bebedores
que, al agitar el viento las ramas, recordaron

12. V. *Arrawḍ almi'ṭār*, 568.

decenas de sangrientas batallas, como refleja su poema:

> Yo os pregunto: ¿de quién es la inmensa hueste
> cuya vanguardia forman nobles ángeles?

alguno de cuyos pasajes cita Alḥimyarī al hablar de Ḥammat Maṭmāṭa[9] y de nuevo al hablar de ʿAmra[10], campiña de los alfoces de Gafsa donde sufrieron atroz derrota los ejércitos de Yaʿqūb b. ʿAbdalmu'min, capitaneados por su primo, Abū Ḥafṣ b. ʿAbdalmu'min, cayendo prisioneros algunos de sus principales jefes y refugiándose otros, heridos, en Gafsa. Allí esperaban hallar asilo con Ibn Gāniya, pero éste, por el contrario, los castigó duramente, de manera que, cuando llegaron a Túnez las nuevas de la derrota, Yaʿqūb b. ʿAbdalmu'min montó en cólera y salió con sus tropas al encuentro de las de Mallorca y de los *guzz* que habían derrotado a sus hombres en ʿAmra, venciéndolos en Ḥammat Maṭmāṭa, cerca de Gabes, victoria tras la que Ibn Muğbar compuso la casida cuyo comienzo hemos citado y en la que dice:

> Llama el Yemen a sus escuadrones, gozoso
> de su impecabilidad, Siria lo solicita,
> a él se alza la mezquita de Jerusalén
> y le mira la Casa Sagrada de la Meca.

En otro pasaje dice:

> Marchó ciñendo dos cortantes espadas:
> La inspiración divina y la inmensa hueste;
> pregunta qué acaeció por él a los enemigos,
> cómo fue extirpado el enconado mal:
> al terror de la muerte fueron expuestos
> los rostros cubiertos por los velos[11],
> y de nada les sirvieron los arcos de los *guzz*,
> pues nò pueden las saetas frenar el decreto divino.
> La guerra parecía tener juicio
> sano, libre de todo mal,
> pues aniquiló a los reos de muerte,
> y respetó la sangre de los demás.

Ibn Muğbir tiene otra casida (de rima /b/) estrechamente relacionada con las vicisitudes de la conquista de Gafsa por los almohades y la lucha entre Yaʿqūb b. ʿAbdalmu'min y ʿAlī b. Gāniya: la ciudad había sido tomada tras duro asedio en 575 h. por Yūsuf b. ʿAbdalmu'min,

9. Op. cit., 200.
10. Op. cit., 414, habiendo también otra mención al hablar de Gafsa en 479.
11. Referencia a los almorávides de Ibn Gāniya (N.T.).

hallando que los más de sus panegíricos están dedicados al emir Ya'qūb"[4].

Otra referencia a su *dīwān* aparece en la *Bugyat almultamis* de Aḍḍabbī: "Literato y poeta sobresaliente en este arte, en el que descolló y sobrepasó a las gentes de su tiempo_cuyos versos he visto reunidos en dos grandes volúmenes"[5].

Ya hemos dicho anteriormente que nuestro poeta era murciano y sevillano, a lo que podemos añadir lo que dice Alḥimyarī, refiriéndose a la ciudad de Segura, un distrito de Jaén, en Alandalús: "De Segura era Abū Bakr b. Muğbar, poeta excelente y glorioso del reinado de 'Abdalmu'min";[6] por otra parte, Abū Baḥr Ṣafwān Attuğībī lo menciona bajo el nombre de "Abū Bakr b. Muğbar de Vélez"[7] , lo que permitiría atribuirlo a más de una localidad de Alandalús, pero su origen murciano es más probable que cualquier otro. De él ha quedado una referencia a la fecha de su óbito, acerca de la cual no discrepan mucho las fuentes, puesto que Aḏḏahabī informa que "murió, ya maduro[8], en Marrākuš la noche de la Pascua Grande del 588 h. o, según otros, del 587", coincidiendo la primera de ambas fechas con otros indicios, mientras que Ibn Ḫallikān da la segunda, habiendo por otra parte acuerdo en que su muerte tuvo lugar en dicha ciudad a los 53 años de edad, lo que permite fechar su nacimiento en 535 h.

Las obras que hemos podido consultar no aluden a otra producción de Ibn Muğbar que su *dīwān*, del que sabemos que era extenso, en dos volúmenes, y está actualmente perdido, de modo que no poseemos de sus versos sino los que nos han llegado dispersos dentro de su biografía, los más de los cuales (unas seis páginas) están conservados en el *Zād almusāfir*, así como, en un respetable número, en el *Arrawḍ almi'ṭār*. Sin embargo, a pesar de la exigüidad de lo que nos ha llegado de la obra de este gran poeta, ello basta para revelarnos sus rasgos generales en cuanto al contenido y valor artístico de estas casidas.

Es evidente que, siendo poeta de la dinastía almohade, es ante todo panegirista, estando sus versos llenos de noticias de victorias, cercos y toma de ciudades en Alandalús y Norte de África, particularmente en la época de Ya'qūb b. Yūsuf b. 'Abdalmu'min, cuyos días fueron testigos de

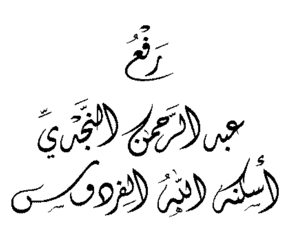
4. V. *Wafayāt al'a'yān*, ed. Iḥsāb 'Abbās, Beirut 1968, V, 13.

5. Ed. El Cairo 1968, biografía # 1494.

6. En *Arrawḍ almi'ṭār fī ḫabar al'aqṭār"*, ed. Iḥsān 'Abbās, Beirut 1980, 349.

7. En *Zād almusāfir wagurrat muḥayyā al'adab assāfir*, ed. 'Abdalqādir Miḥdād, Beirut 1980, 51.

8. Dicen en nota los meritorios editores acerca de esta expresión de Aḏḏahabī: "Cosa discutible, ya que Ibn Al'abbār, Ibn Ḫallikān, Ibn Šākir y otros afirman que murió a los 53 años", pero nada hay que discutir, ya que la palabra árabe /kahl/ no significa "anciano provecto", como ellos entendieron, sino una edad madura, perfectamente acorde con la cifra citada.



IBN MUĞBIR DE MURCIA Y SU ÚNICA *MUWWAŠŠAḤA*

M. ZAKARIYYĀ ʿINĀNĪ

Nos hallamos ante un poeta de la época almohade, es más, ante el "poeta de su época", como indican muchos historiadores, cuyo nombre, sin embargo, se perdió en el tumulto de los acontecimientos, de manera que el lector ya no da con él, ni siquiera incidentalmente en las obras generales de historia de la literatura andalusí, ni lo encuentra salvo rara vez en los estudios elaborados acerca de la vida literaria en época almohade.

Nuestro intento es ahora arrojar luz sobre la vida y obras de este original poeta, así como presentar el texto de una *muwaššaḥa* suya inédita y no señalada en las colecciones y estudios de este género preparados por autores contemporáneos, a los que en todo caso hay que excusar, puesto que no aparece en ninguna fuente impresa, sino en una única y aún sólo manuscrita, como explicaremos enseguida oportunamente.

Según expresión de Aḏḏahabī en *Siyar aʿlām annubalāʾ*, nuestro hombre fue "el poeta único de su tiempo, el facundo Abū Bakr Yaḥyà b. ʿAbdalǧalīl b. Muǧbar Alfihrī, de Murcia y posteriormente de Sevilla, panegirista real de certificada elocuencia, depurado estro y excelente versificación, cuyas casidas circularon como modelos difícilmente igualables"[1].

De él dijo Ibn Alʾabbār: "Fue en su tiempo el poeta de Alandalús, e incluso de todo el Occidente islámico, sin discusión"[2], mientras que Ibn Šākir, en la biografía suya que incluye en *Fawāt alwafayāt* lo califica de "poeta de Alandalús en su época"[3], en tanto que Ibn Ḫallikān, que se refiere a él dentro de la biografía de Yaʿqūb b. ʿAbdarraḥmān, dice: "Entre los poetas de su reinado estuvo Abū Bakr Yaḥyà b. ʿAbdalǧalīl b. ʿAbdarraḥmān b. Muǧbar Alʾandalusī de Murcia, cuyo *dīwān* he visto,

1. *Op. cit.*, vol. 21, # 105, ed. Dr. Baššār ʿAwwād Maʿrūf y M. Hilāl Sarḥān, Beirut 1984.
2. En *Attakmila likitāb aṣṣila*, III, 132.
3. Ed. Iḥsān ʿAbbās, Beirut 1973, III, 275.

IBN MUGBAR DE MURCIA

Textos y Estudios

Edicion Crítica
Por
Dr. Mohamed Z. Enani
Universidad Árabe de Beirut

Dar Ath-Taqafa
Beirut
2000

الكتب التي صدرت عن «دار الثقافة» في الدراسات والنصوص الأندلسية

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لأبي العباس بن عذارى المراكشي
تحقيق ومراجعة: أ. ليفي بروفنسال و ج. س. كولان
طبعة جديدة ١٩٩٧ - ١١٦٢ صفحة، قطع كبير - ٤ مجلدات

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر سيادة قرطبة
د. إحسان عباس - ٤٥٦ صفحة، قطع كبير - مجلد

تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين
د. إحسان عباس - ٣٦٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

نثير فرائد الجمان ابن الأحمر
تحقيق د. محمد رضوان الدايه - ٤٢٠ صفحة، قطع كبير

التشبيهات من أشعار أهل الأندلس أبو عبد الله محمد بن الكتاني
تحقيق د. إحسان عباس - ٣٧٥ صفحة، قطع كبير

أخبار وتراجم أندلسية
تحقيق د. إحسان عباس - ١٧٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

إشبيلية في القرن الخامس الهجري
د. صلاح خالص - ٢٠٠ صفحة، قطع كبير

أحكام صنعة الكلام للكلاعي
تحقيق د. محمد رضوان الدايه - ٣١٨ صفحة، قطع كبير

المقتبس في أخبار بلد الأندلس أبو مروان بن حيان القرطبي
تحقيق عبد الرحمن على الحجي - ٣٢٦ صفحة، قطع كبير

الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس
د. محمد عبد العزيز مرزوق - ٢٨٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

ديوان الرصافي البلنسي (طبعة جديدة)
تحقيق د. إحسان عباس - ١٤٢ صفحة، قطع كبير

ديوان ابن الزقاق البلنسي (طبعة جديدة)

تحقيق عفيفة الديراني - ٣١٢ صفحة، قطع كبير

ديوان حازم القرطاجني حازم بن محمد الأنصاري

تحقيق عثمان الكعاك - ١٤٠ صفحة، قطع كبير

ديوان الأعمى التطيلي (طبعة جديدة)

تحقيق إحسان عباس - ٣٧٦ صفحة، قطع كبير

توشيع التوشيح صلاح الدين الصفدي

تحقيق البير حبيب مطلق - ٢٣٠ صفحة، قطع كبير

فن التوشيح

تحقيق د. مصطفى عوض الكريم - ٢٥٠ صفحة، قطع كبير

الكتيبة الكامنة للسان الدين بن الخطيب

تحقيق د. إحسان عباس - ٣٢٠ صفحة، قطع كبير

الذيل والتكملة: السفر الأول (١/٢) لأبن عبد الله الملك المراكشي

تحقيق د. محمد بن شريفة - ٦٥٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

الذيل والتكملة: السفر الرابع لأبن عبد الله الملك المراكشي

تحقيق د. إحسان عباس - ٢٨٦ صفحة، قطع كبير - مجلد

الذيل والتكملة: السفر الخامس (الجزء الأول)

تحقيق د. إحسان عباس - ٤٣٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

الذيل والتكملة: السفر الخامس (الجزء الثاني)

تحقيق د. إحسان عباس - ٣٨٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

الذيل والتكملة: السفر السادس

تحقيق د. إحسان عباس - ٦١٠ صفحة، قطع كبير - مجلد

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لأبي الحسن على بن بسّام الشنتريني (طبعة جديدة)

تحقيق الدكتور إحسان عباس - ٣٨٠٠ صفحة، قطع كبير - أربعة أقسام في ٨ مجلدات

شعر ابن مجبر الأندلسي

جمع ودراسة وتحقيق د. محمد زكريا عناني - ١٧٠ صفحة، قطع كبير - طبعة ٢٠٠٠

يصدر تباعًا عن «دار الثقافة» في الدراسات والنصوص الأندلسية للمحقق:

الموشحات الأندلسية:

دراسة شاملة حول الموشحات منذ نشأتها وإلى نهاية القرن التاسع الهجري، تعرض لأجزاء الموشحة ومشكلة الخرجات فيها، وتتحدث عن أعلامها والملامح اللغوية والبلاغية والإيقاعية التي تتعلق بها، وما لها من صلات بالموسيقى والغناء.
ويتضمن الكتاب أهم ما كتب عن الموشحات في المصادر الأندلسية والمشرقية القديمة، مثل الذخيرة ودار الطراز وتوشيع التوشيح وحيش التوشيح وعدة الجليس وسجع الورق وعقود اللآل، وغيرها من الأصول والمراجع، كما يتضمن الكتاب منتخبات من أجمل ما كتب في الموشحات الأندلسية عبر العصور.

طبعة مزيدة ومنقحة

ديوان الموشحات الأندلسية

كانت فكرة جمع كافة نصوص الموشحات الأندلسية حلمًا طالما راود العديد من أجيال الدارسين، إلاّ أن عقبات كثيرة اعترضت تحقيق تلك الأمنية الغالية، وقد وفق المرحوم الدكتور سيد مصطفى غازي في تقديم موسوعة ضخمة من جزئين تحت عنوان «ديوان الموشحات الأندلسية» ظهرت بالإسكندرية منذ أكثر من عشرين عامًا.
وقد عكف د. عناني على مخطوطات وأصول جديدة، مما أتاح الكشف عن المزيد من الروائع الأندلسية في مجال الموشحات لشعراء من أمثال الأعمى التطيلي وابن رافع راسه وابن بقي والصيرفي وابن نزار وابن سهل والإسرائيلي وغيرهم.
طبعة جديدة تشتمل على نصوص تنشر لأول مرة

الشعر والشعراء في الأندلس

دراسة بيوغرافية تحليلية شاملة للشعر والشعراء بالأندلس، تشتمل على مقدمة عامة حول شبه الجزيرة الأيبيرية في ظل الإسلام والمسلمين، مع تتبع لنشأة وتطور النتاج الشعري خطوة فخطوة، والتعريف بمختلف الشعراء من مشهورين ومغمورين.
ويعتمد الكتاب على إيراد لمحات فنية والاستشهاد بعدد من النماذج الملائمة، بحيث تتيح للقارئ الاستيعاب الصحيح للقيمة الفنية لهؤلاء الشعراء، إلى جانب المواد التاريخية الخالصة، والتي روعي فيها أكبر قدر من التحديد.
إنها محاولة لرصد الشعر والشعراء بالأندلس على مدى ثمانية قرون، وجهد لتحقيق المعادلة الصعبة من حيث التوفيق بين الإيجاز والوضوح والشمول.
كما يهدف الكتاب إلى استخلاص ملامح الشخصية الأندلسية، من خلال أبعاد البيئة والناس والأحداث والنصوص.

كتاب ينشر لأول مرة

دراسات في الموشحات

للموشحات سحرها الخاص الذي دفع أجيالاً وأجيالاً من الدارسين إلى جمع نصوصها ورصد ظواهرها وتتبع مسيرتها والحديث عن أعلامها.

وهذا الكتاب يتناول بالتفصيل عدة زوايا تتعلق بهذا الفن الجميل، منها ما يتصل بالمصادر، حيث يتم تتبع أهم المجاميع المطبوعة والمخطوطة بالتحليل وتفصيل المنهج وبيان القيمة، ومنها ما يتعلق بقضية المصطلح في الموشحات، أو يعرض لبعض أعلام التوشيح، مثل لسان الدين بن الخطيب، ولظواهر فنية كالخرجات والمعارضات وما إليها.

كتاب ينشر لأول مرة

ديوان الأزجال الأندلسية

امتدادًا لما بذل في مجال الموشحات الأندلسية؛ فإن هذا الكتاب – والذي يقع في مجلدين – يقوم على التمهيد للنشأة المشرقية للموشحات، ودراسة سبل انتقالها من الأندلس والمغرب، ثم متابعة أجيال الوشاحين عبر العصور بدءًا من العصر الفاطمي ومرورًا بالأيوبيين والمماليك، ثم العثمانيين، ورصد النصوص الكثيرة التي تجاوز عددها أكثر من خمسمائة موشحة، وتحقيقها وفقًا للمنهج العلمي الدقيق.

كما يتضمن العمل تعريفًا بأكثر من خمسين وشاحًا من ألام التوشيح بالمشرق، خاصة في مصر والشام والعراق واليمن، وهي البيئات التي شهدت اهتمامًا بهذا الفن.

عمل ينشر لأول مرة

مدخل لدراسة الموشحات والأزجال

يتضمن مدخلاً عن الأدب الشعبي والعامي عند العرب، وعن لغة أهل الأندلس وما خلّفته من أصداء في الحياة الثقافية والأدبية بالأندلس، مما ساق إلى ظهور كلٍ من الموشحات والأزجال.

ويتتبع الكتاب نشأة هذين الفنين وتطورهما وانتقالهما إلى المغرب؛ ثم إلى مصر وبقية العالم العربي، مع دراسة للمصادر والأغراض والمصطلحات والسمات الخاصة، وتوقف أمام أعلام هذين الفنين في المغرب والمشرق.

وبالكتاب مختارات من أهم ما ألف في تاريخ الموشحات والأزجال عبر العصور.

طبعة جديدة مزيدة ومنقحة

النصوص الصقلية

يرتكز هذا الكتاب بصورة أساسية على ما دوّنه ابن قلاقس الإسكندري في كتاب الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم، زعيم مسلمي صقلية في عهد غليالم الثاني، ويشتمل على ما قاله الشاعر في هذا القائد من مدائح، وما دبّجه من نصوص نثرية، إلاّ أن كتاب النصوص الصقلية اشتمل على مواد أخرى مما لم يرد في الزهر الباسم.

ويتقصى الكتاب حياة ابن قلاقس الإسكندري، ويقدم صورة حية للأوضاع في الإسكندرية ومصر من جانب، ولصقلية والمغرب والأندلس من جانب آخر، كما يشتمل على مراسلات

ونصوص لعدد من أدباء صقلية آنذاك، مثل ابن خلف وابن فاتح وغيرهما، فضلاً عن قائمة غنية للغاية حول صقلية والحياة الأدبية فيها.

العذارى المائسات في الأزجال والموشحات

هذه طبعة حديدة من مجموعة غريبة الشأن، كانت قد نشرت لأول مرة في مطلع هذا القرن على يدي أديب لبناني (فيليب قعدان الخازن)، وتضمنت أكثر من ستين موشحة لمشاهير الوشاحين في الأندلس والمغرب والمشرق، مثل التطيلي وابن بقى وابن زهر ولسان الدين بن الخطيب وابن سناء الملك والعزازي والصفدي والسراج المحار وابن نباتة المصري... الخ.
والطبعة الجديدة تشتمل على دراسة حول الكتاب ومادته وأصوله ومعرفة ما إذا كان شرقيًا أم مغربيًا، ثم عرض لطبعة الخازن وما لها من مزايا وعيوب، وما تم من تصويب للأصل وتعريف بالشعراء أصحاب النصوص، وتصويب ومقابلات وشروح، بحيث أصبحت «العذارى المائسات» في الشكل الملائم لها.

الألحان المسلية في حلى جزيرة صقلية

أحد أقسام موسوعة علي بن سعيد الأندلسي التي تحمل عنون المغرب في حلى المغرب، والتي ظهرت منها عدة أجزاء قبلا، هي قسم الفسطاط، بتحقيق د. زكي محمد حسن ومن معه، وقسم الأندلس بتحقيق د. شوقي ضيف، وقسم القاهرة بتحقيق د. حسين نصار، أما القسم الصقلي فكان قد نشر في أوائل هذا القرن (١٩١٠م) على يد المستشرق الألماني موريتز، ضمن الكتاب التذكاري عن المستشرق الإيطالي ميخائيللي أماري.
والطبعة الجديدة تشتمل على تصدير عام عن الكتاب ومؤلفه، وعلى تعليقات وفهارس وتنقيحات شتى، تستفيد من عديد المصادر والمراجع التي ظهرت في الآونة الأخيرة عن صقلية وأعلامها والحركة الأدبية فيها.

دار الطراز في عمل الموشحات

هذا كتاب صغير من تأليف الشاعر المصري ابن سناء الملك (توفي ٦٠٨)، ويعد أهم ما ظهر عن الموشحات الأندلسية والخطوة الأولى الحقيقية التي مهّدت السبل لمعرفة هذا الفن الجميل.
وقد استهل المؤلف عمله بدراسة حول مدلول الموشح وأعلامه وأجزائه وأوزانه ونظام الخرجة فيه وما يشترط في بنائه والموضوعات التي يتناولها، كما جمع فيه منتخبات من أجمل ما ألف أهل الأندلس في التوشيح، وختم بأعمال من عنده بناها على غرار أعمال أهل الأندلس.
والطبعة الجديدة تستند إلى مخطوطات وأصول لم يستفد منها من قبل، وتتضمن ملاحق مما ينشر لأول مرة.

